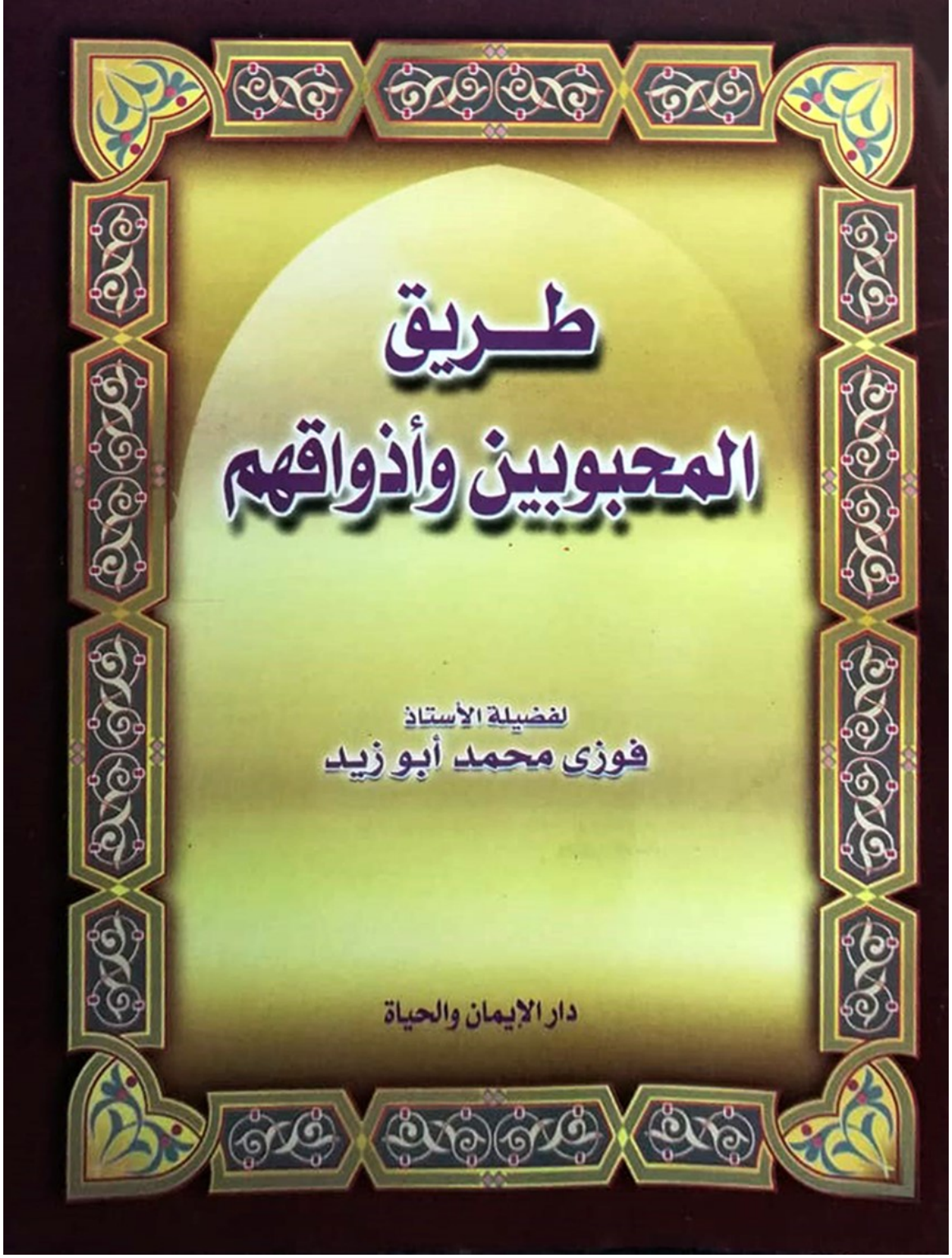
طـــريق
المحبوبين وأذواقهم
لفضيلة الأستاذ
فوزى محمد أبو زيد
دار الإيمان والحياة

طريق المحبوبين وأذواقهم

فضيلة الشيخ

فوزى مُحَمَّد أبوزيد

دارالايمان والحياة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع ٣٤٢٩/ ٢٠٠٢م

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، واجه عباده المقربين بأنواره، وخصَّهم بأسراره، ثم مَنَّ عليهم فوهبهم العلم النافع، والقلب الخاشع، والعمل الرافع، والكلم الحكيم الجامع.

والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد، كوثر الحقِّ المشهود، وسدرة منتهى الورود، وضياء العهود، ونور قلوب الرُّكَّع السُّجُود، وآله وأصحابه، وكل من تابعه بصدق ويقين إلى يوم الدين. وبعد...

فهذا كتابٌ ينير الطريق للسالكين، ويوضح السبيل للمقربين، للوصول إلى جمالات العارفين، وأنوار الصدق واليقين. يفتح الباب للأحباب للوصول إلى عليِّ الرحاب، ويكشف عن الآداب التي يتجمل بها من أراد الوجه بغير نقاب.

ثم هو يبين بعض منح العارفين، وإلهامات الواصلين، وفيوضات الصادقين، تعليةً لهِمَمِ المريدين، وتشويقاً لنفوس السالكين، وتحبيباً وترغيباً للواصلين، وقدحاً لزناد العاشقين، ليكونوا كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

عَلُّوا عَزَائِمَكُمْ وهَيَّا وَاعْشَقُوا لِتُشَاهِدُوا عَدْنَ الجِنَانِ وَحُورَهَا

ويفصح عن قطرة من كمالات الحبيب تجعل القلب يتعلق بهذا الجمال المَهيب، فَيَهِيمُ عشقاً فى حضرته، وشوقاً إلى رؤيته حتى يطيب، ويصير له من بركته ونُوره وعلومه وسرّه وراثةً ونصيب، فيراه فضلاً وكرماً فى مقام الزلفى، وبعد ذلك عنه لا يغيب.

لا يَغِيبُ النُّورُ عَنْ أَهْلِ اليَقِين
كَيْفَ ذَا وَالنُّورُ فِى الأُفُقِ المُبِين
شَمْسُنَا طَهَ الحَبِيبُ المُصْطَفَى
لَمْ تَغِبْ يَا طَالِبَ الحَقِّ اليَقِين
مَنْ يَقُلْ غَابَتْ فَذَاكَ لِحَجْبِهِ
كَيْفَ يَخْفَى نُورُ خَيْرِ المُرْسَلِين
نَوَّرَتنَا الشَّمْسُ أَصْبَحَ نُورُهَا
مُشْرِقاً فِى كُلِّ فَرْدٍ فِى أمين

والسالك على الحقيقة من توحَّد مطلوبه، ورَضِىَ بما قدَّره محبوبه، والواصل من كان الله مراده، وهذا مقعد الصدق وراء ظهره. وأهل التمكين مَنْ فازوا بجمالات العين، ولم ينشغلوا عنها بسواها طرفة عين.

والعَارِفُ الفَرْدُ مَحْبُوبٌ لِخَالِقِهِ
فَاتَ المَقَامَاتِ تَحْقِيقاً وتَمْكِينا

فِي كُلِّ نَفَسٍ لَهُ نُورٌ يُوَاجِهَهُ
مِنْ حَضْرَةِ الحَقِّ تَرْوِيحاً وتَيْقِينا

فاللهم أذقنا لذَّةَ وصالك، واسقنا شراب أهل كمالك، وأبحنا النظر إلى عليِّ جمالك.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

مساء الثلاثاء: ٦ من شعبان ١٤٢٢هـ
٢٣ من أكتوبر ٢٠٠١م

: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية
☎: ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩
🖷: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
WWW.fawzyabuzeid.com :
fawzy@fawzyabuzeid.com :
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

الفصل الأول

الطَّرِيقُ إِلَى الله

- التربية الرُّوحيَّة
- طريق الصلاح
- المعيَّة الإلهية
- الأُخُوَّة النُّورانيَّة
- سرُّ الوصول
- حقيقة الإنعام
- الجهاد الموصل

الطريق إلى الله[١]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمَّد بن عبد الله، كنز الهدى للصالحين، وسرّ السعادة للمتقين، وباب الفتح لأهل الإخلاص والصدق لله في كل وقت وحين. صلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكلِّ مَنْ اهتدى بهديه إلى يوم الدين، آمين يا ربَّ العالمين ...

(أما بعد)

فيا إخواني في الله ويا أحبابي في سيدنا رسول الله ﷺ: أكرمنا الله عزَّ وجلَّ في هذه الليلة، فجمع شملنا، ووحَّد قلوبنا، وصفَّى نفوسنا، وطهَّر قلوبنا، لنجتمع جميعاً على إحياء نهج رَجُلٍ من الصالحين، ولا نزكِّيه على الله عزَّ وجلَّ، ولكن إقراراً بالحقيقة كما علمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] كان هذا الدرس في مسجد الغفران بمدينة بور سعيد يوم الخميس ٢٣ من ربيع الآخر ١٤٢٠هـ الموافق ٥/ ٨/ ١٩٩٩م في الاحتفال بذكرى فضيلة مولانا الشيخ محمَّد علي سلامة رضي الله عنه.

التربية الروحية

ونَهْجُ الصالحين– لمن خفى شأنه عنده – هو التربية الروحية الصافية، التى تبلغ بالعبد إلى المنازل الراقية فى حضرة القرب عند الله، وفى أُنْسِ الوصال مع سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالعبد الذى يصطفيه الله، ويؤهله – عزَّ وجلَّ – روحانيًّا وباطنياً لمقام الشهود والمناجاة، يجمعه مولاه على رَجُلٍ تقيٍّ نقيٍّ – فاز بكمال الشهود فى حضرة الله – ليأخذ بيده، فيرقِّيه ويصفِّيه، ومن جميع الأمراض الباطنة يداويه ويشفيه، حتى يصير بصيراً بعين البصير، سميعاً بأذن السميع، متكلماً بلسان المتكلم عزَّ وجلَّ، مع كمال وجوده بحياته الظاهرة الدنيوية، فيقوم بجسمه وبنفسه بما عليه لأهله وللخلق أجمعين، ويقوم بروحه وقلبه وحقائقه الباقية ليشهد ما أعدَّ الله عزَّ وجلَّ فى جنات خلده، وفى حضرات قربه، لعباد الله الصالحين والمتقين، فينظر بالعينين، ويشهد بالمشهدين.

ولا يكمل عبدٌ فى هذا المقام إلا إذا وهبه الله إماماً مكَّنه سيِّدُ الأنام ﷺ فى هذا المقام، وأقامه داعياً بإذنه لسعادة جميع الأنام.

وإمامنا وسيدنا وزعيمنا وقائدنا إلى الله عزَّ وجلَّ فى حضرات القرب، هو فضيلة مولانا الشيخ مُحَمَّد على سلامة رضى الله عنه وأرضاه. وقد أكرمنا الله عزَّ وجلَّ به فى الدنيا وفى الاخرة، بما لا نستطيع أن نصفه أو نتحدث عن

جانب منه فى هذا المقام، ولكن كل ما نستطيع أن نبيح به هنا: يكفينا أن الله عزَّ وجلَّ عرَّفنا به حقائق علمية، إذا عَرَفَهَا المرء وعمل بها يصل - على أقصى مِنْ لمح البرق - إلى عين اليقين من القرب من ربِّ العالمين عزَّ وجلّ.

هذه الحقائق موجودة فى باطن كتاب الله، لكنها لا تلوح إلاَّ لقلبٍ هداه الله إلى أسرار كتاب الله، ولا تظهر إلاَّ فى مَظْهَرٍ جَمَّله الله عزَّ وجلَّ بأنوار ذاته، وحلاَّه بكمال أسمائه وصفاته، وأشرق على قلبه - بأنواع وأصناف لا عدَّ لها - من بحار فيوضاته وأنوار تجلياته عزَّ وجلّ.

طريق الصلاح

من ذلك: السؤال الذى يلحُّ على كثير من الأنام:

- كيف يصير المرء صالحاً لفضل الله؟
- وكيف يصير قلبُه معدًّا لتَنَزُّلِ نفحات الله؟

هذا السؤال كثير منا سمعه، وسمع أكثر طلاسم فى الإجابة عنه من الناس!! مَنْ يسوق الإجابة عن السؤال فى صيغ فلسفية، ليُعَمِّى عن القوم، حتى يظنُّوا أنه وصل إلى حالة روحانية لم يصل إليها سواه، فيستخدم معميات الألفاظ، ويسوق فى كلامه الأحاجى والألغاز!! وكلما أَبْهَمَ فى الكلام ظنَّ العوام أنه زاد تَبَحُّراً فى الولاية عند الملك العلاَّم عزَّ وجلّ.

وبعضهم يسوق الطالبين لهذا السؤال، والراغبين فى الإجابة عنه،

إلى أبواب العبادات والمجاهدات، والتى أحياناً قد لا تلائم أجسامهم وحقائقهم، فيتعدون الأطوار الكونية، ويصابون بأحوال مَرَضِيَّة، يظنُّها بعض الناس جذباً – ولكنها ليست بجذب – وإنما خيال نتيجة الأوهام التى أصابتهم، لأنهم لم يستخدموا الحكمة الروحانية فى المجاهدات القرآنية، والنوافل النبوية، للوصول إلى رضوان الله عزَّ وجلَّ.

ومنهم من يقيم القوم فى خدمته، ويَعِدُهُم ويُمَنِّيهم بأنهم إذا بذلوا أقصى جهدهم فى خدمته، فَسَيَمُنُّ الله عليهم – جزاء هذه الخدمة – بمقامات الولاية، ويتفضل عليهم ويمنحهم درجات أهل العناية، ليزيدوا فى الخدمة فى البذل له والعطاء. وكلُّ ذلك – وغيره – بعيدٌ عن نَهْجِ السماء.

لكن ما أقصر الطريق الذى وضعه لنا إمامنا وشيخنا رضى الله عنه وأرضاه!! ... فقد جعل الطريق إلى الله عزَّ وجلّ، وإعداد القلب لنيل رضاه، والفوز بما وَعَدَ به الصالحين من عباد الله، من مناهل الإكرام، وأنواع الإتحاف والإنعام، من العلوم الوهبية، والإشراقات القرآنية، والأنوار الإلهية، والمكاشفات الربانية، وغيرها من أنواع الإكرام كلُّها أو جلُّها تحتاج إلى عملٍ واحدٍ وبسيط. ليس عملاً بالأبدان، وليس عملاً بالأموال، وليس جهاداً فى الطاعات والقربات، وإنما عملٌ فى مَحْوِ ما فى القلب من خصال مذمومات، أجملها الله عزَّ وجلَّ فى كتابه فقال: (٤٧:الحجر)

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾

المعيَّة الإلهيَّة

كل ما يجعل المرء حقيقاً بفضل الله، ومؤهلاً لتَنَزُّلات رضوانه ونوره وبَهَاه، أن يكون داخلاً فى جملة الذين أنعم الله عليهم، لينطبق عليه القرار الذى قال فيه العزيز الغفار (٦٩:النساء):

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾

يدخل فى هذه المعيَّة الإلهية فيكون معهم ومنهم. وهذه المعيَّة معيَّةٌ واحدة – من بدء البدء إلى نهاية النهايات – فيها جميع النبيين، وجميع المرسلين، وجميع الشهداء والصالحين، وأوسط العقد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو واسطة عقد النبيين والمرسلين، والشهداء والصالحين.

هذه المعية التى اشتاق ﷺ إلى أهلها، وقال فيهم – ونرجوا الله أن نكون فيهم أجمعين: (واشوقاه لإخوانى الذين لما يأتوا بعد) فقالوا: ألسنا إخوانك يا رسول الله؟!! قال: (أنتم أصحابى، إخوانى هم قوم يأتون فى آخر الزمان، آمنوا بى ولم يروني، عمل الواحد منهم كسبعين منكم)، قالوا: بسبعين منا أم منهم يا رسول الله؟ قال: (بسبعين منكم، أنتم

تجدون على الحقِّ أعواناً وهم لا يجدون)[٢].

وقد بشَّرنا الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه بأننا المعنيون بهذا الحديث الشريف، فقال رضى الله عنه:

بشرى لنا اشتاق الحبيب لذاتنا
وتمنى يرآنا بقول صراح

وقال مذكراً لنا – مرة أخرى – حاثاً لهممنا، وحاضاً لعزائمنا:

مَنْ مِثْلُكُمْ والشَّوْقُ أَوْصَلَكُمْ إِلَى
سِرِّ الإِخُوَّةِ مَطْلَبِ الأَصْحَابِ

فغاية المراد أن يسلك المرء فى عقد الذين أنعم الله عليهم.

بِمَ أنعم الله عليهم؟ أغمضت الآية، لأنها إجابة لا يطلع عليها إلا أهل العناية، ولا يراها ولا يكاشف بها إلاَّ خاصة أهل الولاية!!

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾

[٢] رواه الإمام مالك فى الموطأ.

بماذا؟ ... أخفى ذلك الجواب، لأنه أمرٌ خاص من كنوز حضرة الوهَّاب، وكلٌّ يغترف على قدره، بما يشرح الله به صدره، وبما ظهر من نور النبوَّة فى قلبه.

الأخوَّة النُّورانيّة

المهم أن ينضم فى هذا العقد الثمين، ويكون (مع الذين أنعم الله عليهم). ومن الذى ينعم الله عليه بهذا الأمر؟ الذى ينال مقام القرب. وكنا نظنُّ – كما ظنَّ كثير من الناس حولنا وقبلنا – أن مقام الأخوة يتحقق بالمشاركة والمجالسة، أو أخذ البيعة والعهد فقط، حتى بيَّن لنا إمامُنا جليَّة الأمر، وأوضح لنا خالصة السرّ، وأماط اللثام عن نور مكنون آيات كتاب الملك العلاَّم عزَّ وجلّ، فبين أن مقام الأخوة مقامٌ راقى، لا يسلك المرء فى عداد الإخوان – والإخوان هنا: هم الذين يقول فيهم الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

إِخْوَانُهُ والنَّاصِرُونَ لِدِينِهِ وَالمُرْشِدُونَ بِحَضْرَةِ الفَتَّاحِ

متى ينضم إلى هذه الأخوة؟

إذا عالج ما فى قلبه من أحوال نفسيَّة، وتطلعات دنيويَّة، وآمال وهميَّة، وعمَّره بحُبِّ الله عزَّ وجلّ ورسوله ﷺ، والصالحين من عباد الله. فكانت الآية واضحة – (٤٧ الحجر) – تتكون من شقين:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾

وَقِسْ على الغِلّ؛ الغشَّ والخديعة، والحقدَ والحسد، والكبرياء، وكل المنازعات النفسيَّة والصفات الكبريائيَّة، التى تجعل النفس ظلمانيَّة لا تستطيع – مهما تعددت – أن تنظر بعين إلهية، أو تدخل فى نطاق أهل المعيَّة ... بعد النزع مباشرة:

﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾

يعنى: أن الذى مازال عنده بقية من الغلّ أو الحقد أو الحسد، أو الطمع أو الحرص، أو الشُّح أو البخل، أو الأثرة أو الأنانية، فما زال مُحِبًّا لأهل المعيَّة، لكنه لم ينضم رسميًّا فى عداد أهل المعيَّة، ولذلك فما زال لم يُفتح عليه بمفاتِحهم السَّنيَّة، ولم يسمح له بعطاءاتهم الوهبيَّة. فقد قال إمامنا أبو العزائم رضى الله عنه: (نحنُ قومٌ نَكْتُمُ أسرارنا عن الطالب حتَّى لا يكون له شهوةٌ إلاَّ فى الحقّ).

سِرُّ الوُصُول

وأظن بهذا الأمر اختصر الطريق، وأصبح التحقيق به سهلاً على كلِّ رفيق!! ما عليك إلاَّ أن تضع عين بصيرتك على نفسك وسريرتك، وتنظر إلى ما فيها من عيوب تحجبها عن حضرة علاَّم الغيوب عزَّ وجلّ، وتجاهد فى إزالة ذلك المطلوب حتى تكون إنساناً منظوراً بعين الغيوب، ويفتح لك كنز فضل الله عزَّ وجلّ، بعد دخولك ضمن هذه العُصبة والثُّلة المباركة.

مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَرْأَهُمْ وَيَوُدُّهُمْ
وَيَفُوزُ مِنْهُمْ بِالصَّفَا وَيُوَالِى

ولذلك قال صلوات الله وسلامه عليه: (مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)[٣]، وخاصة إذا كان هذا الكِبْرَ على إخوانه، لأن الله أمرنا أن نكون (٥٤:المائدة):

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ – بعد ذلك –
﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

فالجهاد لا يصح إلاَّ بعد التحقق فى المقامين المتقدمين: أن يكون متواضعاً ذليلاً، وهيِّناً ولَيِّناً، وبشوشاً لإخوانه المؤمنين أجمعين، وأن يكون عزيزاً يعزُّ نفسه عن الدنو من العظماء والمتكبرين – وإن كان لحاجة عاجلة – فإنَّ ربَّ الحوائج على كل شئ قدير (٢، ٣:الطلاق):

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا • وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

فإذا تحقق المريد بكلام الحيّ القيوم الحميد المجيد، وصفَّى قلبه، وطابت نفسه، ارتاح سره، ورقى فى عوالم القرب، ونظروا إليه نظر عطف وحنان، فبدَّلُوه إلى أحسن حال، فإذا جاهد يجاهد فى مقام الرجال. لا

[٣] متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

يجاهد بالفعال ولا بالأعمال، وإنما يجاهد فى مَحْوِ ما لا يحبُّه الله من خصال، والتجمل بالأحوال التى جعلها واضحة فى صورة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وفيها يقول القائل:

((ليست الكرامة أن تطير فى الهواء، فإن الطيور فى السماء تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تمشى على الماء لأن الأسماك والحيتان تصنع ذلك، ولكن الكرامة أن تغيّر خُلُقاً سيئاً فيك بِخُلُقٍ حَسَنٍ)) ... ذلك هو جهاد الرجال، وهو الطور الثانى.

حقيقة الإنعام

فإذا انتهى من الطور الأول، وجهَّز ماعون قلبه بالصفاء والنقاء والبهاء، رقَّاه الله وجعله من جملة من أنعم عليهم الله. وأول ما ينعم عليه الله – ليس كما تظنون أو تعتقدون، يعنى يعطى له الكشف حتى يرى الرائح والقادم، أو يعرف ما فى نفوس الآخرين – أول إنعام ينعمه عليه الله: أن ينعم عليه بحفظ حدود الشريعة فى كل مقام:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾

(١٥٣:الأنعام)

لم يقل: (وأن هذا صراطى مستقيماً فامشوا عليه)، وإنما : ﴿فَاتَّبِعُوه ﴾، إشارة إلى حضرته صلوات الله وسلامه عليه، فهو الذى نمشى

وراءه. وهل يستطيع الإنسان أن يتحقق بالسير على قدم رسول الله بغير توفيق وفضل خالص من مولاه عزَّ وجلّ؟

وهذا أيضا فتحٌ يفتح الله به على العبد، بأن يوفِّقه لإتباع الشرع فى كل حركاته وسكناته، وغدواته وروحاته، حتى فى لهوه ولعبه، فلا يلهو ويلعب إلاَّ بميزان الشرع الدقيق، ولا يحادث ولا يحدث إلاَّ على منوال أهل التحقيق، فتكون أوقاته كلها لله، لأن عمله مربوط بسيدنا ومولانا رسول الله، فيكون متحققا بقول الله عزَّ وجلّ (١٦٢،١٦٣:الأنعام):

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾

فيكون مقامه وصفاؤه بعده تحقق بشريعة سيد الأنبياء، بإلهام من الله وتوفيق من الله، بعد علم نافع من الوارث العالم الفرد الذى علَّمه سيدنا رسول الله ﷺ، لأن أبواب الشريعة الغراء كثيرة، والعمر للإنسان – مهما كان طويلاً – يجعله لا يستطيع أن يتحقق بعشر معشارها، لكن حسبه أن يتحقق بقدر يسير منها يوافق مراد الله فيه.

المهم أن يوافق مراد الله فى العمل الذى يعمله فى هذه الحياة، فيمنُّ الله عزَّ وجلَّ عليه – بعد إتباع الشرع على التحقيق – بالأخلاق القرآنية، والمواهب المحمدية الخُلقية، وهى فضل من الله، وهى أعظم عطاء يتفضل به الله عزَّ وجلَّ على عبدٍ من عباد الله.

فأعظم منَّة، وأكبر منحة، وأفضل عطية يَمُنُّ الله بها على العبد، أن يجمِّله بأخلاقه العليَّة. والأخلاق ليس فيها سبيل محض إلى الإكتساب، وإنما على المرء إخلاص النيَّة، وصفاء الطويَّة، والصدق للذات العليَّة. ثم يمنُّ عليه المتفضل فيمنحه هذه الأخلاق عطيَّة من عنده عزَّ وجلَّ.

هِيَ الأَخْلاقُ أَسْرَارُ المَعَالِي
تُفَاضُ عَلَى أُولِي الهِمَمِ العَوَالِي

إفاضة من الله عزَّ وجلَّ ... اسمع إليه عز وجل وهو يقول: (الإخلاص) – وهو أعزُّها وأغلاها وأرقاها – (الإخلاص سر من أسرارى أستودعه قلب من أحب من عبادى لا يطلع عليه شيطان فيفسده أو ملك فيكتبه)[٤].

إذن الإخلاص – وهو سرُّ الخلاص للخواص – فضل من الله عزَّ وجلَّ ونعمة، والله عزيز حكيم. وإذا منَّ الله على عُبيد بالإخلاص فقد أوقفه على قدم الصدق فى طريق الخواص، يفتح له المجالى الذاتية والطرق الرضوانية، ويواليه بالمنح الإلهية، لأن الله جعله من عباده المُخلصين. يكفيه إذا دخل فى عداد المُخلصين أنه فى أمان من الشيطان ووسوسته (٤٢الحجر):

[٤] رواه القزويني

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾

ولذلك قال الله فيمن يريد الصدق، كيف يتحلى به؟

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾

(التوبة١١٩)

يتفضل الله عليكم – ببركتهم – بخلق الصدق ... الصدق فى الأحوال، والصدق فى الأعمال، والصدق الأقوال، فضلاً من الله عزَّ وجلَّ يوليه لعباده المخلصين، وعباده الصالحين، ببركة مصاحبتهم لعباده الصادقين فى الدنيا.

الجهاد الموصل

إذن مثل هذه المعانى التى ترقق نفوس المريدين، وتصفى قلوب السالكين، وتُهيِّم فى الملكوت الأعلى أرواح المقربين، نتنسمها فى رياض مجالسة الصالحين والأولياء العاملين – كما قلت يا إخوانى. فعندما سمعنا من شيخنا رضى الله عنه هذا المعنى العظيم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (٤٧:الحجر)، وعلمنا علم اليقين أن المرء لا يكون أخاً للصالحين، ولا يدخل معية الذين أنعم الله عليهم من النبيين والمرسلين والمتقين – إلاَّ إذا صفَّى نفسه وقلبه وسرَّه لربِّ العالمين – جاهد فى ذلك، وهذا هو الجهاد الموصل.

فجهاد العبادة: جهاد لتكثير الحسنات ولنيل الدرجات، والفوز يوم القيامة بالمراتب فى الجنات، أما الجهاد الموصل للفضل والفتح والمكاشفات: جهاد القلب ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء). من يأت الله بقلب سليم – هنا – يرى – هنا عاجلاً – بشرى له ما ادخره له عزَّ وجلَّ، ولن يراه غيره إلاَّ فى الدار الآخرة، لأنه سلم قلبه– من هنا– من المنازعات، والمشاركة والآثام والذنوب القَلبية – التى ذكرنا أمثلة لها – فى هذا المقام، وإليها الإشارة بحديث المصطفى ﷺ أيضاً: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا يغتب بعضكم بعضا، ولا يبع أحدكم على بيع أخيه، ولا يخطب أحدكم على خطبة أخيه – إلى آخر هذه الصفات فإذا فعلتموها– وكونوا عباد الله إخواناً)[٥].

إذن الإخوان: الذين تجاوزوا هذه المجاهدات، وصفُّوا نفوسهم من هذه الكادروات، فأنعم الله عليهم وسلكهم فى عباد الله الصالحين وحزبه المفلحين.

تلكم بعض المعانى التى أردت أن أبثها لنفسى وإخوانى، وقد سمعتها من شيخى فضيلة الشيخ مُحَمَّد على سلامة، وسمعتها فى قلبى وعملت بها فى نفسى، فمنَّ الله علينا بفضله ورضوانه وإكرامه وإنعامه.

---

[٥] رواه أحمد عن أبي هريرة ﷺ

نسأل الله أن يمنَّ علينا بخالص العطاء، وبواسع الفضل وكثير الجزاء، وأن يدخلنا فى الصالحين، وأن يجعلنا من أهل الفتح الأكبر فى كل وقت وحين.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

******* ١ ********

الفصل الثانى

طريق المحبوبين لله

- قدر النيَّة
- الإخلاص طريق الخواص
- منزلة المحبين
- بشريات الصادقين
- حياة الموقنين
- أهل محبوبيه الله

طريق المحبوبين لله[٦]

الحمد لله الذى أكرمنا بولايته، وجعلنا ممن يقبل حكمته، وأوصل قلوبنا بنور صفوته من بريته، وشملنا فى الدنيا بحفظه وصيانته وعنايته، ونرجوه عزَّ شأنه أن يجعلنا جميعاً فى الآخرة من أهل النظر إلى جمال حضرته. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا مُحَمَّد بن عبد الله، مفرِّج كلِّ كرب، وكاشف كل همٍّ وغمّ – بأمر من يقول للشئ كن فيكون. ﷺ وعلى آله وصحبه، وكل من سار على هديه، واستنار بنوره إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين، آمين .. أمين، يارب العالمين.

أما بعد .....

فيا إخوانى ويا أحبابى بارك الله عزَّ وجلَّ فيكم أجمعين

فأحوج ما نحتاج إليه الآن – وفى كل زمان ومكان – أن نُحيى جميعاً نهج الحبيب المصطفى ﷺ فى أنفسنا، وفى بيوتنا، وفى أهلنا، وفى شوارعنا، وفى أعمالنا، وفى حركاتنا وسكناتنا، وفى كل توجُّه لنا فى دنيانا لربِّنا عزَّ وجلَّ.

---

[٦] كان هذا الدرس بالمسجد الكبير ببور فؤاد يوم الخميس ١٢ من جمادى الأولى ١٤٢٢هـ الموافق ٢/ ٨/ ٢٠٠١م في الاحتفال بذكرى فضيلة مولانا الشيخ/ مُحَمَّد على سلامة رضي الله عنه.

وكتاب الله عزَّ وجلَّ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسنَّة الحبيب المصطفى ﷺ بيَّنتْ لنا ما لم نستطع إدراكه من كتاب الله لقصور فينا عن فهمه، لكننا نحتاج على الدوام أناساً اختارهم الله ووهبهم الله عزَّ وجلَّ من عنده الكيفية السديدة، والطريقة الرشيدة، التى يطبقون بها منهج الله وهدى حبيب الله ومصطفاه،

فإن البشر جميعا يميلون إلى المحاكاة، يريدون أن يحاكوا شخصاً أمامهم يطبق منهج ربِّهم ويشجعهم على ذلك، إذا رأوه قد وصل إلى ما وعد الله به أهل ذلك، من النور والفتح، والخير والبركات، والبشريات التى يجعلها الله عزَّ وجلَّ للعاملين المخلصين فى الدنيا، بشرى عاجلة لهم حتى يشجعنا عزَّ وجلَّ على الاقتداء بهم والتأسى بهديهم.

ونحن جميعا نقرأ فى كل ركعة من ركعات الصلاة قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ (٦:الفاتحة). لم يقل صراط الذى (أنعمت عليه) – مع أنه خير البشر – ولكنه جمع: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ (٧:الفاتحة). فجعل الله عزَّ وجلَّ الذين أنعم عليهم لهم صراطٌ – وهو رسول الله ﷺ، قال الله فى شأن حبيبه ومصطفاه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾، وهذا: اسم إشارة إلى حضرته صلوات ربى وسلامه عليه، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾، ولذلك قال: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ (١٥٣الأنعام)، ولم يقل: (فامشوا عليه)، ولكن قال: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾، والإتباع لحضرته صلوات ربى وسلامه عليه.

لكن الله نما فى نفوسنا الأمل فى حضرته، والطمع فى حظوته، والعشم فى دخول جنة رضاه، فقال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ . صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ (٦،٧:الفاتحة)، كأن هذا السبيل ممهد ومذلَّل وسهل للذين يوفقهم الله ويشملهم بعنايته، ويوجههم إلى طريق هدايته وسبيل عنايته فى الدنيا، وهم الذين قال فيهم (٦٩النساء):

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾

هولاء الصالحون أولهم وأعظمهم: صحابة النبيّ الأمين، فإذا ذُكر الصالحون فحيهل بأبى بكر، وثنِّى بعمر، وثلِّث بعثمان، واتل بعد ذلك عليَّاً وما تلاه من أصحاب النبى العدنان، فهم أصحاب الشأو فى هذا الميدان، وهم السابقون السابقون الذين ذكرهم القرآن، وهم أهل ولاية الله السابقة، وأهل عنايته اللاحقة، الذين أمرنا الله أن نهتدى بهم، وقال لنا فى شأنهم (٩٠:الأنعام):

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾

لم يقل الله لحبيبه (اقتدِ) بالمرسلين والنبيين – لأنه هو القدوة الأوحد للسابقين واللاحقين – وإنما أمره أن يقتدى بهداهم، وأن يقتدى بما وهبهم وخصَّهم به مولاهم.

أما الذى نقتدى به أجمعين، والسابقين واللاحقين، فهو إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد ﷺ ... وهو ﷺ حوَّلنا إلى أصحابه لمعرفته بأننا عاجزون عن كمال اتباعه، لأنه البحر الذى لا يدرك، والمحيط الذى لا يصل أحد إلى قطرة منه – فضلاً عن قعره أو منتهاه!!!! ... فلما علم عجزنا عن الاقتداء الكامل بحضرته قال لنا: (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)[٧]، يعنى يكفيكم أن تقتدوا بالثلة المباركة – أو ببعضهم – فى هديه وشمائله وخصائصه التى وهبها له الله عزَّ وجلَّ. وهذا أمر شاسع، وعلم واسع، يطول بنا المدى لو أشرنا إليه، فضلاً عن ذكره وبيانه.

قدر النيَّة

لكن أريد أن أوجه إلى ما أشار إليه شيخنا: أن الباب الأعظم لولاية الله – لمن أراد أن يتولاه الله، وأن يفتح له عزَّ وجلَّ كما فتح به على الصالحين من عباد الله – هى: أن ينظر إلى قلبه، فإن الله كفانا مؤنة التعب والنصب فى العبادات، ووجهنا إلى الطريق المختصر الذى ننال به القرب من خالق البريات عزَّ وجلَّ، وقال فى ذلك سيد السادات ﷺ: (إن الله لا

[٧] رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله"، وابن حزم في "الإحكام" عن جابر ﷺ. وأخرجه الخطيب في "الكفاية في علم الرواية" والبيهقى والديلمى عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: (إن أصحابى بمنزلة النجوم في السماء، فأيها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة)

ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[٨] ، وفى رواية أخرى: (ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم)[٩].

علم الصحابة الكرام – والأولياء من بعدهم العظام – أن باب كل فتح، وسرَّ كل صلاح، ومفتاح كل نجاح، وكنز كل خير وأرباح فى الدنيا ويوم القيامة: هى النيَّة، فعليها مدار السعادة، وهى قطب الإرادة لأهل الحسنى والزيادة ... فإن الله لا ينظر إلى ظاهر الأعمال، ولكن ينظر إلى النيَّات التى تصاحب الأعمال: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمرئ ما نوى)[١٠].

والنيَّة السديدة الرشيدة هى التى يتوجه بها صاحبها لله، فمن كان عطاؤه لله، ومنعه لله، وأعماله لله، وأقواله لله، كان داخلاً فى قول حبيب الله ومصطفاه: (من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، فقد استكمل ولاية الله عزَّ وجلَّ) ، وفى رواية: (فقد استكمل الإيمان بالله عزَّ

---

[٨] رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

[٩] ذكره الملا على القاري في كتابه: (صلات الجوائز في صلاة الجنائز)، والإمام الغزالى في كتابه: (أيها الولد)، والشيخ مصطفى البكري في كتابه: (العرائس القدسية المفصحة عن الدسائس النفسية).

[١٠] رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائى وابن ماجة عن عمر ﷺ.

وجلَّ)[١١].

إذاً أساس ولاية الله أن يكون عمل المؤمن – ظاهراً وباطناً – متجها لله، وهذا ما عبَّر عنه الله على لسان حبيبه ومصطفاه – لنقتدى به فى كل مسعى – فقال فى شأنه مولاه (١٦٢:الأنعام):

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

فإذا استطاع المرء أن يجعل حركاته وسكناته لله فقد فاز بأعظم مقام فى ولاية الله – وإن قلَّت منه العبادت – فقد قال الحبيب ﷺ: (يا أبا ذر، أخلص يكفيك القليل من العمل)[١٢]. لأن العبرة بالنيَّة – وليست بالعمل، فإن النيَّة يخرج منها صورة روحانية تنطلق إلى الحضرة الإلهية، ويكون مقام الإنسان عند ربِّه على حسب ما دخل فى هذه النيَّة من صفاء قلبه، وإخلاص لبِّه لله عزَّ وجلَّ.

وفى ذلك يقول سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه:

---

[١١] رواه أبو داود والضياء عن أبي أمامة ﷺ.

[١٢] قال العراقى: حديث (أخلص العمل يجزك منه القليل) أخرجه اليلمى في مسند الفردوس عن معاذ – تخريج إحياء علوم الدين. وللحديث لفظ آخر أخرجه الحاكم وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقى عن معاذ ﷺ، أنه قال للنبى: أوصني. فقال له: (أخلص دينك يكفك العمل القلي).

((كل كلام يبرز وعليه كسوة من نور القلب الذى خرج منه)).

وقد قال فى ذلك حبيب الله ومصطفاه ﷺ – ليبين لنا قيمة النية: (من توضأ فأحسن الوضوء)، وفى رواية: (فأسبغ الوضوء، وصلى فأتم ركوعها وسجودها وخشوعها لله، خرجت وهى بيضاء مسفرة، وتقول له: حفظك الله كما حفظتنى)[١٣]. يخرج من هذه النيَّة صورة نورانية تفتح لها أبواب السماء، باباً وراء باب، حتى تصل إلى قدس جناب العليِّ الوهاب عزَّ وجلَّ، ثم تكلم صاحبها فتقول: (حفظك الله كما حفظتنى) ... إذاً ألفاظنا وأعمالنا تصعد منها حقائق نورانية وروحانية تمتلأ بها الأجواء العلوية – كما وضح خير البرية ﷺ.

وكذلك لو كانت النيِّة غير طيبة، قال فيها ﷺ: (ومن لم يحسن وضوءها، ولم يتم ركوعها وسجودها وخشوعها، خرجت وهى سوداء مظلمة، وقالت له: ضيعك الله كما ضيعتنى، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق– يعنى: الثوب البالى المزق – ويلقى بها فى وجهه).

إذاً نيَّتك تخرج منها حياة أعمالك، وحقائق ما يوضع فى ميزانك يوم لقاء الله، فإن الله عزَّ وجلَّ، يزن أعمالنا – والأعمال حقائق نورانية، أو

---

[١٣] الطبراني عن أنس رضي الله عنه

حقائق ظلمانية، ولكنها توضع فى الموازين الإلهية يوم الدين، كما أنبأ سيد الأولين والآخرين ﷺ.

الإخلاص طريق الخواص

فإذا كان الإنسان مسدَّداً، وأراد الله عزَّ وجلَّ تقريبه، أصلح له نيَّته، وجعل عمله كلَّه يقصد به حضرته، وفى ذلك يقول عزَّ شأنه فى حديثه القدسى – الذى يرويه الإمام القزوينى رضى الله عنه: (الإخلاص سرٌّ من أسرارى أستودعه قلب مَنْ أُحِبُّ مِنْ عبادى)[١٤]. ولذلك قال لنا أجمعين (٥:البينة):

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾

فالإخلاص سرُّ قرب كل الخواص فى الدنيا إلى الله عزَّ وجلَّ، والإخلاص معه سلامة النيَّة، ومعه أيضاً – للخَلق – صفاء الطويَّة، فلا يكون خالصاً لله إلا إذا كان قلبه خالصاً من الشحناء والبغضاء، والغلِّ والحقد، والحسد والكُره لجميع عباد الله عزَّ وجلَّ. وقد بيَّن الله عزَّ وجلَّ صفات أهل الجنة فقال فى شأنهم (٤٧:الحجر):

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾

[١٤] رواه الإمام القزويني

وبيَّن هذه الآية الحبيب ﷺ ليلحظها أهل العناية – فيعملوا بها فينالوا تاج الولاية من الله عزَّ وجلَّ – فقال ﷺ: (لا يبع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تنازعوا، ولا تشاحنوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا)[١٥] . أى أن الإنسان لا ينال شرف هذه الأخوة حتى يتخلص من هذه الصفات المذمومة التى وضَّحها نبى الله ومصطفاه ﷺ.

إذاً ولاية الله – لمن أراد أن يكون فى أعلى مقام عند مولاه – ليست فى قيام الليل، ولا إتمام صيام النهار، ولا الإكثار من تلاوة القرآن إلاَّ إذا صحبهم نيَّةٌ خالصة فى كلِّ قول وعمل لله، وحبٌّ صافى خالص لجميع عباد الله عزَّ وجلَّ. فمن أقام الليل عمره، ومن تعبَّد لله دهره، وعمله يقصد به رياءً أو سمعة، فإن عمله مردود، وسعيه مكدود، ولا يقبل الله منه عملاً لأنه قال عزَّ شأنه (١١٠:الكهف):

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾

وقال عزَّ شأنه فى حديثه القدسى: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك،

---

[١٥] روى الإمام مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما: :(لا يبع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطب على خطبة أخيه). وروى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بغض، وكونوا عباد الله إخوانا).

من عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى تركته له)[١٦]، لأنه لا يحبُّ إلا العمل الخالص.

ومن ملأ الأرض والبرَّ، والبحر والجو عبادة لله، ولم يطهِّر قلبه من الأحقاد والأحساد والشحناء لعباد الله، فإن هذا كمن يبنى قصوراً على الماء، وكمن يحرث فى البحر، لقوله ﷺ – عندما قيل له: إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذى جيرانها!! قال: (لا خير فيها فهى فى النار)[١٧].

مَنْزِلَةُ المُحِبّين

وبيَّن الحبيب أصحاب هذه المنزلة، ومقام أهل هذه الدرجة، فقال فيما رواه الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذكره الإمام أبو داود والترمذى: {(إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء لمكانتهم وقربهم من الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة. فقال أعرابى: يا رسول الله، عباد من عباد الله ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون

[١٦] رواه أحمد وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ، والبيهقى وابن خزيمة بلفظ: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك).
[١٧] أخرجه الحاكم وابن حبان والبيهقى والإمام أحمد والبخاري في الأدب من حديث أبي هريرة ﷺ.

والشهداء!! صفهم لنا)، وفى رواية أخرى: (جلِّهم – يعنى: وضِّحهم – لنا). قال: (هم أناس من أمتى، من قبائل شتى وبلدان شتى، توادُّوا برُوح الله على غير أرحام بينهم – لا يوجد نسبٌ أو قرابة دنيوية بينهم – ولا أموال يتعاطونها فيما بينهم – لا يوجد تجارة أو مشاركة فى أعمال دنيوية، وإنما الحب فى الله ولله عزَّ وجلَّ – فوالله – وأقسم الحبيب بعزة جلال الله – إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور قدَّام عرش الرحمن يوم القيامة، يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس وهم الآمنون).

ثم تلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٦٢:٦٤يونس)}.

ولنا فى هذا الحديث ملحوظتان أختم بهما قولى – خوفاً من السآمة والملل. أولاهما: أن هذا الحديث يبيّن أن هولاء القوم وصلوا إلى تلك المنزلة بحبّهم لبعضهم فى الله – ليس بالعبادات، ولا بالإكثار من الطاعات، ولا بالمداومة على النوافل والقربات، وإنما بالحبِّ فى الله ولله – فقد قال

ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله)[١٨]. هؤلاء القوم فى منزلة أكمل العباد، فإن أكمل العباد يوم القيامة أين منزلتهم؟ ... تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله!! الذى ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، والذى قلبه معلق بالمساجد، والذى صان عرضه وأعضاءه عن الزنا والحرام إذا تعرض لهذه الآثام، والذى تصَّدق حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، وغيرها من الأصناف التى أوصلها الأئمة الكرام إلى حوالى سبعين باباً!!

(سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله)[١٩]... هذا حديث البخارى ومسلم، لكن هناك أحاديث أخرى فى هذا الباب أجرُها وثوابُها أن يكون أهلها تحت ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله، جمعها الإمام أبو ذرعة الشامى فى حوالى سبعين باباً، كلُّهم تحت ظلِّ عرش الرحمن، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه.

إذاً كُمَّل العبَّاد، وأحسن المجتهدين فى طاعة رب العباد، سيكونون تحت ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله ... وناهيك بهذه المنزلة منزلة ... ولكن أعظم منها، وأكرم منها، وأعلى شأناً منها: الذين يكونون – ليس تحت ظل عرش الرحمن، وإنما – قدَّام عرش الرحمن، فى مواجهة ذى

---

[١٨] رواه الطيالسى في مسنده عن البراء بن عازب ﷺ

[١٩] متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ

الجلال والإكرام: قدَّام عرش الرحمن!!، (على منابر من نور قدام عرش الرحمن يوم القيامة)، وفيهم يقول ربُّ العزة جلَّ شأنه:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

(٢٢، ٢٣:القيامة)

لأن ثواب العاملين الجنة، وثواب المخلصين والمخلصين النظر والتمتع بجمال صاحب الجنة عزَّ شأنه، فما رأوا ولا تمتعوا بكمال ولا نعيم أكمل ولا أعظم، ولا أجمل ولا أبهى، من النظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ الكريم.

الملحوظة الثانية: هى قول رسول الله ﷺ: (إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم) – يعنى: يتمنون أن يكونوا مثلهم، فالغبطة: تمنى المرء أن يكون مثل من ينظر إليه – وليست الحسد، لأن الحسد تمنى زوال النعمة، ولا يكون ذلك لمؤمن صادق الإيمان مع الله عزَّ وجلَّ ... وقد كان هذا الموضع موضع سؤال من الأسئلة التى وضعها الحكيم الترمذى رضي الله عنه، فقد وضع الإمام مُحَمَّد بن علي الترمذي الملقب بـ: (الحكيم)، وهو أول من تكلم فى علوم الولاية، وكان فى القرن الثالث الهجرى، وضع مائة وسبعاً وخمسين سؤالاً .. لا يجيب عنها إلا رجلٌ وصل إلى مقام المكاشفة.

بشريات الصادقين

ومقام المكاشفة بشرى عاجلة لأهل الولاية فى الدنيا، فإنهم إذا أخلصوا مع الله، وصفُّوا قلوبهم نحو خلق الله، ولهجت ألسنتهم وأجسامهم

بذكر الله، وداوموا على طاعة الله، أكرمهم الله ببشريات كثيرة، منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر: أن يريهم الحقائق المعنوية للأعمال الظاهرية، وأن يكرمهم الله فيريهم الحياة النورانية لكل المخلوقات والكائنات – حتى الأجسام الجمادية. وقد كان هذا لصحابة رسول الله صلى الله علية وسلم ورضى الله عنهم أجمعين.

كلنا نسمع عن السكينة، لكن مَنْ مِنَّا رأها؟!! رآها الصحابى الجليل أسيد بن حضير، فقد كان يتلو كتاب الله، ورأى فى سقف غرفته غمامة أو ظلَّة وبها مصابيح، فذهب إلى الحبيب المصطفى وقال له: يا رسول الله رأيت في سقف غرفتى غمامة كأنها ظلَّة وبها مصابيح!! فقال الحبيب ﷺ: (تلك السكينة تنزلت لتلاوتك القرآن)[٢٠]. فأعلمه أن ما

[٢٠] روى البخاري عن أبي سعيد عن أسيد بن حضير رضى الله عنهما قال: (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكتت، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى ما ما يراها، فلما أصبح حدث النبيَّ ﷺ، قال: وتدرى ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) . وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشنطين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال: (تلك السكينة تنزلت للقرآن) (متفق عليه).

رآه هو السكينة، وأن السكينة تظهر لأهل القلوب بعد صفائهم لحضرة علام الغيوب عزَّ وجلَّ. فإذا زاد الصفاء يقول فيه إمام الرسل والأنبياء: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[٢١].

ليس بنور الشمس، ولا بنور الكهرباء – فيرى ما فى الصدور كما رأى سيدنا عثمان الرجل الذى نظر إلى إمرأة فى الطريق.

أين رأى هذا المنظر؟!! وكيف شاهد هذا المخبر؟!!

بالعين التى فتحت بنور الله ..

وكما رأى عمر على منبره قائد جنده – وهو فى بلاد الفرس – وحدثه وسمعه، وقال يا سارية الجبل، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين. فيرون الحقائق النورانية فى هيئتها النورانية لأن الله عز وجل يكشف لهم ذلك، ويدخلهم فى أهل ذلك، فى قوله عز شأنه (٧٥:الأنعام):

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾

[٢١] رواه الحكيم وسمويه والطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن أبي أمامة رضي الله عنه.

حَيَاةُ المُوقِنِين

إذا من وصل إلى مقام الإيقان يرى بنور الله الحقائق التي لا تراها العقول بالبرهان، وإنما تراها القلوب بحقائق الإيمان، ويشعر بحياة الكائنات!! فإن الحبيب أمسك بذرات الرمل فسبَّحت وسمعها من حوله، ووضعها في كف أبي بكر فسبَّحت وسمعها من حوله، ووضعها في كف عمر فسبَّحت وسمعها من حوله، وكذا عثمان، وكذا علي، ثم وضعها في أيدي الآخرين الذين لم يصلوا إلى هذا المقام الأمين فما سمع تسبيحها!! فأعلمهم أن هذه خصوصية لأهلها بشرى عاجلة عجلها لهم الله عزَّ وجلَّ. هؤلاء القوم يغبطهم النبيون والشهداء!!

وضع الإمام الترمذي هذه الأسئلة، ليجيب عنها أهل المكاشفات وأهل: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة): وبماذا يغبطهم النبيون؟ ... وهل معنى هذا أنهم أعلى درجة منهم؟

حاشا لله عزَّ وجلَّ!! لكن النبيين يغبطونهم لأن هؤلاء ليس عليهم مسئولية أو تكاليف ربانية في الدنيا ولا يوم العرض والحساب، فإن هؤلاء لم يكلفوا إلا بأنفسهم فاجتهدوا في طاعة الله، وأخلصوا القلوب والنيات والتوجهات لله، فأكرمهم الله في الآخرة وصدر لهم قرار الله (٦٢:يونس):

﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾

فأصبحوا:

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾

(٢٣-٢٥:المطففين)

والخلائق: منهم من هو في كرب الحساب .. والنبيون والمرسلون مسئولون عن أممهم فيحملون همَّهم، ويفدون في الموقف من أجلهم، ويسعون نحو الله للتشفع فيهم، والطلب من الله عزَّ وجلَّ أن يعفو عنهم، أو أن يصفح عنهم، أو أن يبيض وجوههم، أو أن يثقل موازينهم.

فالملائكة الكرام في هذا الموقف حافين حول العرش يسبحون بحمد ربهم، والصديقون والصالحون الذين ذكرنا بعض أوصافهم لا شأن لهم بالكرب ولا الحساب، لأنهم في مواجهة الله وفي جمال الله يرتعون ويتمتعون، فيتمنى الأنبياء والمرسلون أن لو كانوا مثلهم إن لم يكلفوا أو لم يحملوا أمراً ولا همًّا – مع أن هذا مقام أعظم ودرجة أكرم – لأن هؤلاء في راحة وهناء.

أَهْلُ مَحْبُوبِيَّةِ الله

إذا مقام أهل محبوبية الله الذين أحبوا في الله، وأخلصوا لله، وتوجهوا في كل حركاتهم وسكناتهم لله، هو من أعلى المقامات يوم لقاء الله.

ويكفينا تيهًا وفخراً قول حبيب الله في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري ومسلم بروايات متعددة .. قال: الرجل يا رسول الله يحب القوم ولما يعمل بمثل عملهم، قال ﷺ: (المرء مع من أحب يوم القيامة)[٢٢].

وفي رواية: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام ولكن أحب الله ورسوله. قال: (أبشر فإن المرء مع من أحب يوم القيامة)[٢٣]، وفي رواية ثالثة: (يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة)[٢٤].

---

[٢٢] رواه البخاري ومسلم عن عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: {جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُل أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)}.

[٢٣] ورواه البخاري ومسلم عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَة فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: (وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟) قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِير صَلاَة، وَلاَ صَوْم، وَلاَ صَدَقَة وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ. قَالَ: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ).
قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْء فَرَحَنَا بِقَوْل النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ). !قَالَ أَنَسٌ: " فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْر وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْل أَعْمَالِهِم"}.

[٢٤] رواه الطبراني عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: (ثَلَاثٌ هُنَّ حَقٌّ : لَا يَجْعَلُ اللَّهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ ، وَلَا يَتَوَلَّى اللَّهَ عَبْدٌ فَيُوَلِّيهِ غَيْرَهُ، وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ) – قال المنذري: إسناده جيد. قال العجلوني في كشف الخفاء: (من أحب قوما حشر

قال سيدنا أنس ﷺ، ما فرحنا بشيء فرحنا بهذا الحديث، لأننا نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونطمع أن نكون معه بنص قوله صلوات ربي وسلامه عليه.

وعندما اشتكى خادمه ثوبان من المرض، وظهر عليه النحول والذبول، وقال له رسول الله: (ما بك يا ثوبان؟!!)، قال: يا رسول الله، لا أشكو من شيء، غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة عظيمة، فتذكَّرت الآخرة والجنة، وأنك تكون في مقام النبيين والمرسلين، وأنا مع عوام المؤمنين في الجنة فلا أراك، فهذا الذي أمرضني. فنزل في الحال قول ربِّ العزَة (٦٩:النساء):

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾[٢٥]

معهم) . رواه الحاكم في المستدرك جازما به بلا سند، وشهد له: الذهبي مع من أحب، ورواه الطبراني والضياء عن أبي قرصافة بلفظ: (من أحب قوما حشره الله في زمرتهم).

[٢٥] قال الكلبي: {نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وكان شديدَ الحبّ له، قليلَ الصَّبر عَنْهُ، فأتاه ذاتَ يوم وقد تغيَّر لونه ونحل جسمه، نُعِتَ في وجهه الحزن، فقال له رسول الله: (يَا ثَوْبَانُ مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ)؟ فقال: يا رسول الله ما بي من ضُرٍّ ولا وجعٍ، غير أنِّي إذا لم أَرَكْ اشتقتُ إليك، واستوحشتُ وحشةً شديدةً

إذاً يا إخواني أجمعين: أكرمنا الله عزَّ وجلَّ بأن يسر لنا الأمر، وسهل لنا الطريق، وجعل لنا تاج ولايته وشرف كرامته سهل ويسير وغير عسير، أن يجعل المؤمن قلبه لله، ويتوجه قبل كل قول وعمل لمولاه، يرجو بالقول أو العمل رضاه، ولا يبغي بعد ذلك شيئاً من سواه، وأن يملأ قلبه بالحب الخالص لعباد الله، ثم ينام ويملأ عينه نوماً بعد أن يتمم فرائض الله، ويعلم أنه من كمل أولياء الله عزَّ وجلَّ.

وأظن لو تحققنا بذلك في زماننا لما صارت عندنا مشكلة – لا في مجتمعنا، ولا بيننا وبين بعضنا، ولا في بيوتنا، ولا في جميع أسقاعنا وبقاعنا، كما كان أحباب نبينا صلوات ربي وسلامه عليه.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقنا حبه الخالص لوجهه الكريم بلا شوب يشوبه، وأن يرزقنا حبَّه وحبَّ نبيِّه، وحبَّ كتابه وحبَّ الصالحين من عباده، وحبَّ كل عمل يقرب إليه، وأن يجعل نيَّاتنا لوجهه الكريم دائماً، وأعمالنا له خالصة حتى نلقاه، وأن يرزقنا الحبَّ لجميع عباد الله، وأن يسل من

حتى ألقاك، ثم ذكرتُ الآخرة وأخافُ ألَّا أراكَ هناك؛ لأنِّي أعرف أنَّك تُرْفَعُ مع النبيين، وأنِّي وإنْ دخلتُ الجنَّة كنتُ في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنَّة فذاك أحرى ألَّا أرك أبدًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية}.

صدورنا كلَّ ضغينة وسخيمة لأي عبد من عباد الله، حتى نكون من الذين إذا رؤوا ذُكر الله لرؤيتهم.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

* * * * ٢ * * * *

الفصل الثالث

آداب الدعاة والمريدين

- الأدب الذي يحبه الشيخ من مريديه
- حقيقة القيام للحبيب
- بغية الدعاة والمرشدين
- جهاد آل العزائم
- أدب الطالبين
- آداب المجالس
- صدق النية
- باب الصدق

آداب الدعاة والمريدين[٢٦]

نريد أن نقول كلمة لأنفسنا: ونحن في حفل عام مثل الليلة البارحة، الأخ الذي نقدمه، إنما نقدمه ليمدح في صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم، لا ليمدح بعضنا البعض، والناس الحاضرون ربما يقولون – في أنفسهم: إنهم أتوا ليمدحوا في بعضهم، أنجعل الناس تسخر منا؟!! هذا الكلام لا يصح.

والحمد لله أنتم رأيتموني عندما كنت مع مولانا . ﷺ . إذا قدمني في أي مكان، ماذا كنت أقول؟ درس علم ينفع المسلمين، لأن من الجالسين أصحاب عقول وعقلانيين ولا يفهمون هذه الأحوال الروحانية التي معكم، فنضع الأحوال الروحانية جانباً – في أنفسنا وفي قلوبنا – ونمشي مع الناس بالآداب العامة التي يعرفها الناس.

الأخ الذي نقدمه ليلقي درساً، ماذا يكون الدرس؟ عبارة عن ماذا؟ موعظة بليغة، حكمة، حديثاً ويشرحه، آية يفسرها ويوضحها،

---

[٢٦] كان هذا الدرس صباح يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٤١٢هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ١٩٩١م قبل صلاة الجمعة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين.

والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه بيَّن لنا هذا الأمر فقال: (إذا كنت مع الناس فحدثهم من علوم الرجل – بيِّنْ لهم البضاعة، هذه هي العينة. وما بضاعتنا؟!! الأسرار القرآنية، والجواهر النبوية، والحكم الربانية، هذه هي بضاعتنا التي نُظْهرها للناس– وإذا كنت مع الإخوان الصادقين فحدِّثهم عن الرجل).

متى يكون هؤلاء الإخوان؟ عندما لا يوجد ميكروفون مثل هذا، وعددنا ثلاثة أو أربعة وليس بيننا غريب، وكان رسول الله ﷺ يسألهم: أفيكم غريب؟ فإذا قالوا: لا، يقول ﷺ: أجيفوا الباب – يعني أغلقوا الباب – هؤلاء كم يكون عددهم؟ أربعة، خمسة، ستة، ولا يزيدون عن إحدى عشر رجلاً. نحن الآن أكثر من ذلك والحمد لله.

وكان سيدنا الجنيد – إمام الطريقة – ﷺ وأرضاه عندما يأتي إليه خاصة أهله وأحبابه يقول لهم: أفيكم غريب؟ يقولون: لا. يقول: أغلقوا الباب وأتوني بالمفتاح، ويأخذه ويضعه تحت فخذه حتى لا يفتح أحد إلا بمعرفته. لماذا؟ لأن هذه أسرار القوم.

ونحن كذلك – والحمد لله – وإخواني يلحظون هذا، فعندما نكون جالسين نتحدث مع بعضنا على الموجة العالية، الموجة الخاصة من البرنامج الثاني الخاص للمثقفين الروحانيين، وإذا أتى أحد من العوام نحول

على الموجة العامة. وأنتم تلحظون هذا الأمر، لأن هذا هو الكلام الصحيح.

والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه قال: لو كان في القوم ألف رجل من أهل مقام الإحسان، وفيهم رجل واحد من أهل مقام الإسلام أو أهل مقام الإيمان، فعلى الداعي أن يتكلم من مقام الإسلام أو مقام الإيمان، ولا عليه أن يضيّع ليلة بأكملها حتى لا يكشف السرَّ لغير أهله. لماذا؟ حتى لا يكشف السرَّ لغير أهله.

فنحن عندما يتحدث أحد من الإخوان في مسجد، أو حتى في مجلس الإخوان ولكن يحضره بعض العوام، فالحديث يكون من علوم الإيمان، ومن علوم الإسلام، ولا يصح أن يكون من علوم الإحسان أو علم الإيقان. وكل هذه العلوم – والحمد لله – حتى العامة منها، يعطينا ربنا فيها بصمة روحانية تجعل فيها القبول عند الناس، فمثلنا في هذا – ببركة العجز والمسكنة التي لدى إخواننا جميعاً – مثل التجار الذين يقولون فيهم: (حسن السوق ولا حسن البضاعة) ... فالبضاعة لا تنفع، ولكن فيها قبول لدى الناس، والناس يرغبون في سماعها، ويمكن غيرنا عنده ما شاء الله، فصاحة وبلاغة، وأناقة ورطانة، وغير ذلك، لكن ليس لها بضاعة في السوق. هكذا هو الأمر.

وحسن السوق من أين يأتي؟ ... من الله!! ليس مني ولا منك، فالقبول من الله، (إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: هلم – إني أحب فلانًا فأحبَّه، فيحبُّه جبريل، ثم يوضع له القبول في الأرض)[٢٧] – وأهل الأرض ليس هم الكفار ومن على شاكلتهم، وإنما أهل الأرض يعني أهلها المؤمنون. فأهلها على الحقيقة هم المؤمنون، وكل من رأوه يحبونه، وكل من يسمع كلامه يقبل كلامه ولو كان كلاماً عادياً، لأن الحب أصلاً من الله عزَّ وجلَّ.

فذلك الأمر يا إخواني – إن شاء الله – الذي يتقدم منا في درس عام أو حتى الذي يقدم أخاه في درس من الدروس العامة، فلا داعي أن يقول العارف بالله. صحيح أننا – والحمد لله – كلنا عارفون بالله، كل مسلم على ظهر البسيطة عارف بالله، وهذا الكلام قد صدر من ناس عوام؛ فعلى ما أذكر: كان عندنا أحد المشايخ الكبار وقد أتى بورقة مكتوب فيها دعوة لحضور محاضرة للعارف بالله فلان، وهو في غاية الاعتراض على هذا الكلام، فقام إليه أحد الحاضرين وهو من عامة الناس

[٢٧] رواه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ

وقال له: وماذا في ذلك يا مولانا؟!! وإن كل مسلم أيضاً ما هو إلا عارف بالله، وكيف يكون مسلماً إذا لم يعرف الله؟!! لكن هذه الكلمة قد يكون لها وقع آخر عند بعض الناس أهل الإنكار، فلا داعي لها ونحن في غنى عن ذلك.

الأدب الثاني الذي يحبُّه الشيخ من مريديه

إن خير ما يقدمه المرء للناس فكره وعمله وحاله، وهذا هو أفضل تقديم له عند الناس في القلوب، لكن التقديم هو مجرد التعريف وننشد فيه الأمور المعتادة، فلا نمدح ولا نثني، ولا نكرم ولا نعظم، فلا داعي لكل هذه الأمور.

أيضًا كذلك في بيت الله، لا يجب لعبد أن يقوم لعبد مهما كان قدره من الدنيا. فمثلاً نحن الآن نجلس في مجلس علم أو مجلس ذكر ودخل علينا أحد من الناس .. هل نقف له؟ لا. وأنا لا أحب هذا لا لنفسي ولا لأحد من إخواني، بل أتقزز منه بالمرة، لأن الإنسان يحب أن يكون كغيره من الناس، فكلنا مثل بعضنا، ولا يعرف أحد أين الخير؟ والقلوب لا يعلمها إلا علاّم الغيوب، والبيان الذي نقوله هذا خصوصية –

والخصوصية لا تقتضي الأفضلية – فربما يكون إنسان صامت ويكون عند الله أعظم قدراً وأفضل بكثير من المتحدثين.

فهناك متحدثون!! حذرنا رسول الله ﷺ منهم وقال: (أخشى ما أخشاه على أمتي من عليم اللسان جهول القلب والجنان)[٢٨] ... اللسان ليس له نظير ولا مثيل، لكن العبرة بالقلوب، والقلوب لا يعلمها إلا الله.

وسيدنا الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه ضرب لنا المثل الأعظم في هذا الأمر، فقد سمعت من أحد خاصته، وهو الشيخ عرفات الجمال رحمة الله عليه هذه الحكاية، قال: (كنت جالساً أمام الشيخ متربعاً، حانياً ظهري، مطأطئاً رأسي ويدي على ركبتي، وأظن أن هذا هو الأدب مع الشيخ، فقال لي الشيخ: يا عرفات، من أنا بالنسبة لك؟ فسكت. فقال: أنا بالنسبة لك إما أب وإما أخ، فأنت إما أن تنزل نفسك مني منزلة ابني أو

[٢٨] أخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَىَ أُمَّتِى كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ).

منزلة أخي، والأب أو الأخ لا يحب أن يكون ابنه أو أخوه جالسًا يتألم من جلسته). يريده أن يجلس على راحته، وليس هذا هو الأدب، ليس الأدب أن تجلس بيد يدي هكذا، ثم تخرج إلى الطريق وتصنع كذا وكذا من الذنوب والعيوب، ولكن الأدب الحقيقي أن تراقبني وأنت في الخلوة، كما تراقبني وأنت أمامي، يعني تعلم أني مُطَّلِعٌ عليك في هذه الأحوال فترعوي عن الذنب، وتمتنع عن المعصية.

واعلم علم اليقين أن العارفين لا ينظرون إلى الحركات الظاهرة للمريدين، ولكن محل نظرهم هو حركات قلوب السالكين، فمن حاول أو يوهمهم بأنه يقدرهم أو يحترمهم بالحركات الظاهرة فهو يوهم نفسه ويخدع نفسه، لأن العبرة بالقلوب، والرجال لا ينظرون إلا إلى حركات القلوب، حتى ربما يخطئ اللسان في التعبير عما في القلب، لكنهم ينظرون إلى القلوب فيجدون النيَّة سليمة فيغفرون خطأ اللسان. فربما يزين اللسان كلاماً يقول فيه رسول الله ﷺ – عن خطباء الفتنة في زماننا هذا: (ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب)[٢٩]. فلا يهمهم

[٢٩] روى الترمذي عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ

هذا التذويق، لأنهم يرون وينظرون إلى النيَّة الموجودة في قلب هذا الناطق على التصديق ... فالعبرة بالقلوب.

حقيقة القيام للحبيب

وقد يقول قائل: أن سيدنا أبا بكر – كما سمعنا من إخواننا – يقول:

قيامي للحبيب عليَّ فرض وترك الفرض ما هو مستقيم
عجبت لمن له عقل وفهم يرى هذا الجمال ولا يقوم

نقول له: صحيح. وقيامي للحبيب هذا ليس معناه الوقوف فقط، وإنما قيامي بمؤازرته، وقيامي بمناصرته، وقيامي بمعاونته، وقيامي بشدِّ أزره في الدعوة إلى الله، وقيامي في تذليل الطريق لنشر دين الله. هذا هو القيام المطلوب. بماذا أفعل بوقوفك كل يوم كم مرة في الساعة، ولم أر منك منفعة في قليل أو كثير في نشر دين الله عزَّ وجلَّ، ماذا أفعل بهذا

الضَّأْنِ مِنَ اللِّين، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّر، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَاب. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا").

الوقوف؟!! لا أريد منك وقوفاً على الإطلاق، ولكن عليك أن تقوم بواجبك نحو الله ورسوله – وهذا ما أريده – في نشر دين الله، وفي مؤازرة الدعوة إلى الله، وفي نشر هذا الفيض إلى جميع عباد الله عزَّ وجلَّ.

وصحيح كيف يكون عند المرء عقل وفهم، ويرى جمال الدعوة إلى الله، ولا يقوم عاملاً في ميدانها وناشراً لمبادئها بين الناس؟!! كيف هذا؟ أنا أستغرب من هذا .. كيف يكون رجلاً عاقلاً، ويرى الفضل الكبير الذي أعده الله للناشرين لدين الله، ويبعد نفسه عن هذا الفضل – إن كان بدنيا، أو بمكاسب، أو بمناصب، أو بغيره؟ – كيف هذا؟

أيُّ امرئ عنده أدنى عقل عندما يرى الفضل الكبير الذي جهزه الله للدعاة، والجمال العظيم الروحاني الذي يتمتع به الدعاة في أرواحهم، والذي يقول فيه سيدنا الجنيد ﷺ: (نحن في لذة لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه بالسيوف). ليست لذة جسمانية وإنما لذة روحانية؛ اللذة الروحانية التي يحيا فيها هؤلاء القوم، الذي يراهم ولم يقم ناشراً لدين الله وبائعاً نفسه وروحه وكلَّه للعمل على إعلاء كلمة الله، فأين هو عقله؟!! وأين هو فهمه؟!!.

لا نأخذ الكلام على ظواهره الحسية فقط، ولكن علينا أن نلتفت إلى الإشارات الباطنية التي فيه، التي وضَّحها الله عزَّ وجلَّ، وبيَّنها رسول الله ﷺ، ونفَّذها الأئمة والسادة والقادة منذ سيدنا رسول الله ﷺ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فلا نريد يا إخواني الأمور التي تُنَفِر الناس. ما الذي ينفر الناس؟ أن يروا أحدنا داخلاً ويقوم الكل بالوقوف له، لماذا هذا؟ علينا أن نساعده، ونعاونه، ونناصره، لكن الحركات الظاهرة لا تقدم ولا تؤخر عند الله ولا عند رسول الله ﷺ.

بُغية الدعاة والمرشدين

الذي ينفر الناس أن نجلس ويمدح بعضنا بعضاً في الميكروفون أو الإذاعة، ما فائدة هذا الكلام؟! وما الداعي إلى ذلك؟ نحن جميعاً؛ أنا والذي قبلي ومن بعدي، وأنتم ومن قبلكم ومن بعدكم، وسيدنا أبو العزائم، ومولانا الشيخ مُحَمَّد على سلامة، وكل الأئمة والعلماء والصحابة الأجلاء، ما الذي أتى بنا إلى هنا؟!! وما هدفنا؟!! الكل همُّهم نشر دعوة الله ورسوله.

هل هناك أحد يريد نفسه؟ كلا، بل إن سيدنا رسول الله ﷺ، ماذا كان هدفه؟ ... نشر دين الله – والكل يقول – كما قال الإمام الشافعي ﷺ عن نفسه: ((وددتُ أن الناس أخذوا هذا العلم عني ولم ينسبوا إليَّ منه حرفاً واحداً)). همُّه أن يعرفوا هذا العلم ليس إلا.

وكذلك نحن – والحمد لله – عندما ننشر الدعوة في البلاد، أننزل إلى البلاد ليمشي الناس وراءنا؟!! أبدًا، بل نريد أن نعرفهم المفاهيم الصحيحة للإسلام وللإيمان، ثم بعد ذلك هم أحرار، أما من يأتي معنا فنقول له: إنك تأتي وتجند نفسك لتنضم إلى جيش الفتح، لنعمل على نشر هذه الفتوحات – إذا كنت تريد أن تكرم نفسك، وتريد أن تُعلي من شأنك – أما إذا رضيت بما أنت فيه فلا حرج عليك.

فالذي يُكرم لا يكرم أحداً وإنما يكرم نفسه، والذي يُعلي يعلي من شأن نفسه، والذي يُعزُّ يعز من نفسه، والذي يرفع يرفع من قدره عند الله عزَّ وجلَّ، لكن لا أحد منا يستطيع أن يعلي شأن الدعوة، أو يرفع من شأنها، لأن الدعوة هي دعوة الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ.

جهاد آل العزائم

فالحركات الظاهرة يا إخواني ليس لنا حاجة إليها، لأننا آل العزائم مهمتنا صعبة، فالناس تحارب في جبهة واحدة، أما نحن فنحارب في جبهتين، الجماعة الصوفية يحاربون المتنطعين الذين ينكرون على الصوفية الأدب مع الأولياء ومع رسول الله ومع رجال الله، والجماعة الآخرين يحاربون الصوفية، أما نحن فنحارب الاثنين.

نحارب الصوفية الباطلة، ونريد أن نُعرفهم ونُظهر للناس الصوفية الصحيحة، فالصوفية الباطلة التي هي عبادة الأشخاص كالذين جعلوا مشايخهم أصناماً يعبدونها من دون الله بالحركات والسكنات والأشياء الظاهرة، نحن نقول لهم: إن الموضوع روح ... والجماعة الآخرين نقول لهم: إنكم مخطئون، فليست كل الصوفية مثل هؤلاء.

فنحن نحارب على الجبهتين، وإذن لابد وأن نكون على الصراط المستقيم. وماذا نعني؟ باختصار نكون مثل (٢٩:الفتح):

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾

يقولون أنه ﷺ كان يجلس مع أصحابه، فيأتي الرجل الغريب – الذي لا يعرفه – فلا يعرفه من بينهم إلا إذا أشاروا إليه وقالوا: هذا رسول الله. لكن الرجل وهو قادم من بعيد لا يعرف من هو؟ لماذا؟ لسكوت القوم، وأدب القوم، وحياء القوم من رسول الله ﷺ، فالرجل لا يعرف هذا من ذاك، الكل سواسية كأسنان المشط.

وكان رسول الله ﷺ يحاول دائمًا أن يهرب من هذه المظاهر الفانية، تارة يتقدم أمامهم ويمشون خلفه، ومرة يقدمهم للأمام ويقول لهم: (خلوا ظهري للملائكة) ويمشي هو وراءهم، ليعرفنا أن الأدب ليس في الحركات والسكنات، وإنما الأدب في طاعته ﷺ.

هذه بعض الآداب التي نريد جميعاً أن نراعيها لأننا نريد أن ننشر الخير، وما دمنا كذلك فيجب على كل واحد منا أن يتغاضى عما له عند إخوانه في سبيل نشر دين الله، فلا أحد يطالب أحداً بالاحترام، ولا أحد يعاتب أحداً على عدم الاحترام، لأن الكل همُّه احترام كتاب الله، واحترام سيدنا ومولانا رسول الله، واحترام العمل الرافع الموصل لمراضي الله عزَّ وجلَّ.

أدب الطالبين

اتفقنا على هذا إن شاء الله يا إخواني؟ لأننا لا نريد هذا المظاهر أبداً، حتى السلام الذي نسلِّمه على بعضنا البعض. فإذا زرت أخاً لي في مكان عمله، فالواجب أن لا ألفت أنظار الناس إليه ولا إليَّ، فليكن السلام عادياً، وكذلك في المواصلات العامة، لا ألفت أنظار الناس إلينا ونجعلهم يتساءلون: لماذا نفعل هذا؟

حتى إذا زرت أخاً لي في بيته وأتى له ضيف من أهل الدنيا، فعلى الفور أتمثل بأحوال أهل الدنيا حتى لا ألفت أنظار هؤلاء الناس وأجعلهم يعترضون أو ينتقدون، فإن من يعترض أو ينتقد على أحوال الصالحين يتعرض لغضب ومقت الله، ومن السبب في ذلك؟ أنا السبب في هذا الأمر لأنني أظهرت لهم ما لا يطيقون، فإن من أظهر ما لا يطاق أوقع غيره في النفاق.

ليس ما لا يطاق في الكلام فحسب، وإنما ما لا يطاق من أخلاق العارفين، وما لا يطاق للحاضرين من الأدب مع الحكماء الربانيين، لأنه يوقع الناس – الذين هم من أهل الظاهر – في الغيبة. كذلك ما لا يطاق من سنن الدعوة الإلهية مع المبتدئين. أناس مبتدءون، وهو يريد أن يظهر لهم أحوال القوم المنتهين، فسيوقع هؤلاء الناس في لَبْسٍ!! .. لكن: ((لكل مقام مقال، ولكل سرٍّ وحالٍ رجال)).

أناس عوام فنحاول أن نخرجهم بالهوينى، وبالرفق وباللين إلى الأدب العالي مع الصالحين. كيف ذلك؟ نأخذهم بالتدريج، يكفي أن أعلمهم أدب الحديث. كيف يكون ذلك؟ عندما نجلس مع العوام هذا يتكلم وهذا يتكلم وآخر يتكلم، ومن الذي يسمع؟!! لا أحد. فنقول لهم: من السنَّة أن واحداً فقط هو الذي يتكلم والباقي يستمع، هذا هو الأدب الأول الذي يجب عليَّ أن أعلمهم إياه، كما كان يفعل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، وليس القيام والوقوف.

فعندما كان يأتي أحد ويريد أن يدخل على حضرة النبي ﷺ، يتلقاه ويعلمه كيف يدخل؟ وكيف يجلس؟ وكيف يتكلم؟ يعلمهم هذه المبادئ أولاً، أن يدخل ولا يحيي بتحية الجاهلية، صباح الخير أو مساء الخير، وإنما يسلم بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله، ويجلس بأدب وبخشوع ووقار، ولا يرفع صوته فوق صوت حضرة النبي، بل ينصت ولا يتكلم إلا إذا أذن له رسول الله، هذا هو أدب الحديث الذي كان يعلمه له سيدنا أبو بكر.

آداب المجالس

وهـذه هـي الآداب الـتي يجـب أن نعلمهـا لأهـل البـدايات، وهـي مطلوبة لأي مجلس من مجالس المجتمع، وليس لمجالس الصالحين فقط، بل أي مجلـس مـن مجـالس العلمـاء، أو حـتى مجـالس أهـل الـدنيا أو مجـالس السياسة.

ما أدب المجلس؟ فردٌ يتكلم والباقي يستمع، فلا لغط ولا غاغة، ولا رفـع صـوت، وإنمـا يكـون هنـاك كبـيرٌ للقـوم، والكـلُّ يخـشع لـصوته، أليست هذه هي آداب المجالس؟

هـذه الآداب هـي المفـروض أن نعلمهـا للعـوام، هـذه ناحيـة، ومـن ناحية أخرى أحد الجالسين يرى أنه عالم، كذلك أترك له الفرصة حتى يفرغ ما عنده، ثم بعدما ينتهي سوف يسمع، لكن كلنا يغضب ويقول في نفسه: كيف يتكلم مثل هذا؟ إنه إذا لم يتكلم ويقول ما عنده لن يسمع شيئاً أبدا، لأنه جالس ومجهز ما يقول وما يعيد، فبعدما يُفرغ ما عنده سوف يستعد للسماع.

والصالحون عارفون، فهذا كدمل جاهز للتفجير، فيفجر ويصفى ما فيـه ثم يداويـه، كيـف يعالجـه وهـو ممتلـئ بالـصديد والقـيح؟! هـل ينفـع العلاج؟!! لا بـد أن تـصفي مـا فيـه ثم تأتي مرحلة العلاج، أنـت تغضب وتقول: كيف يتكلم هذا؟ إنهم أطباء وليسوا مجرد علماء!!! وهناك فرق

بين العلماء والأطباء، الطبيب يداوي ... كيف يداوي؟ يفتح الجرح أولاً، ثم يصفيه وينقيه، وبعد ذلك يضع له العلاج، لكن إذا وضع العلاج على الظاهر لا يؤثر هذا العلاج في شيء.

فنحن ليس لنا شأن بهذه الأحوال، كما يحدث من بعض إخواننا إذا قام أحد الجالسين ويريد أن يتكلم يقوم من المجلس، أو يتلفظ بكلمة، أو يظهر تأففاً، الناس تأخذ هذه الأمور علينا، والصغيرة منا يعملوها كبيرة. ماذا نفعل؟ ليس لك من الأمر شيء.

دع الأقدار تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال

تجلس ساكنًا خالي البال، وتثق تمام الثقة أن ما يريده الله هو ما يحدث في حضرة العارفين بالله، وهم يعلمون تمام العلم أن الأقدار هي التي تفعل في مختلف المراحل والأطوار، فالذي يتكلم إنما هو منساق إلى ذلك، والذي يجلس ساكتاً كذلك هم الذين أسكتوه، فليس لهم شأن لأنهم لا يتحركون ولا يتكلمون إلا بإرادة وإذن من الله عزَّ وجلَّ.

فإذا كنا في مجلس مثل مجلسنا هذا، ويأتي إنسان ويقطع المجلس بسؤال .. أريد من إخواني أن يكظموا الغيظ، فلا أحد يُظهر على وجهه التضجر أو التبرم، ولا يقوم من المجلس ليشعر السائل بأنه متضايق منه،

وكأنه يقول له: قم من هنا. لماذا كل هذا؟!! نحن نظهر للناس الآداب العالية والأخلاق الراقية.

الأطباء هل يفتحون عياداتهم للأصحاء أم للمرضى؟ أليس للمرضى؟!! ويعرفون أن الذي يأتي إنما هو المريض، وقد يتطاول المريض على الطبيب بالسباب، وقد يشتمه وقد يضربه. ماذا يفعل الطبيب؟ أيضرب المريض كذلك؟ لا، إنه يعرف له عذره، إنما هو يتحمله .. ويتحمله حتى يتم العلاج والشفاء.

فما لنا نحن وهذا الأمر؟!! ...

نحن نفعل مثل أصحاب الرسول ﷺ، فقد كانوا يسكنون ولا يتحركون، وكانوا كما يقول الله (١٠٨:طه):

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾

فليس لأحد شأن في هذا الأمر.

وكان إذا جاء سائل يسأل والسؤال غير لائق، يقول في نفسه: لماذا تغضب منه وقد كنت كذلك في جاهليتك الأولى بهذه الشاكلة؟. فأنت تحمد الله أن هداك وأدبك بالأدب الواجب مع الصالحين ومع العلماء

العاملين، فيعرف فضل الله عليه، ويعرف نعمة الله إليه عندما يرى هذا الجاهل وما تفضل به عليه وأصبح من العلماء العرفاء الحكماء، والحمد لله قد تجاوز هذه المرحلة.

فأنت في البداية كنت تغضب عندما يتطاول أحد الحاضرين عليك، فلماذا تفعل ذلك مع غيرك من الناس؟ هل لأنك أصبحت ممرضاً أو باشتمرجياً فتطاول على المرضى؟ دعهم مع الطبيب وأرح نفسك أنت. وكذلك كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يأتي الرجل قائلاً: يا رسول الله:إإذن لي في الزنا؟ فقام إليه الناس وأرادوا أن يضربوه كلهم، فقال لهم: دعوه لي، وقال: تعالى، أتحبُّه لزوجتك؟ قال: لا. قال: كذلك الناس لا يحبونه لزوجاتهم. أتحبُّه لأمك؟ كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟. كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لأختك؟. كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم ... وبعد ذلك وضع يده النورانية – وليست الظاهرية فقط – على فؤاده، وضع الظاهرة لكن النورانية هي التي تؤثر فيه، وقال: (اللهم طهِّر قلبه، وحصِّن فرجه)[٣٠]. قال الرجل: فما رفع يده وانتهى من دعائه حتى صار ما هناك أبغض إليَّ من الزنا. الزنا الذي

[٣٠] رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة ﷺ.

جاء يستأذن له!!! ... لو تركه مع الناس (التمرجية) لفرَّ الرجل وظلَّ على ما هو عليه، لكنه ﷺ قال لهم: دعوه وشأنه.

وهكذا كان أمر رسول الله ﷺ، وكذلك العارفون بالله – لأن العارفين مثل الأطباء يعالجون الجهلاء، ويعالجون مرضى النفوس، وما أكثر أمراض النفوس!! وأمراضها أكثر من أمراض الأجسام وأعتى منها آلاف بل ملايين المرات، وتتطلب صبراً طويلاً وحلماً جميلاً، وسعة صدر يسع الخلق أجمعين، حتى يسع كل هؤلاء المرضى ويعالجهم، لأنه ليس هناك علاج لهم إلا بالرفق واللين، فلا ينفع فيها الشدة، ولا ينفع فيه القسوة، ولا ينفع فيه المؤاخذة. لا ينفع فيها إلا الرفق واللين، وهذا هو ما يطيب قلوب المريدين ونفوس السالكين.

فالأمر يتطلب الصبر، ونحن نعود أنفسنا قبل أن نجلس في المجلس على أن كل منا يرتدي جلابية الصبر (٢٨:الكهف):

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾

فلا بد أن نجهز أنفسنا لمثل هذه الأحوال، وهذه هي بعض الآداب التي أريد من إخواني أن يتحلَّوا بها في المجالس العامة وفي الأحوال العامة.

صِدقُ النيَّة

أما الآداب الخاصة فرأسها وأهمها، وعلى ذروة سنامها: أن تروض نفسك أن لا تعمل عملاً إلا إذا كانت فيه نيَّةٌ صالحة لله عزَّ وجلَّ، لأنه ليس لك من جزاء على العمل إلا إذا كانت فيه نيَّةٌ خالصة لله عزَّ وجلَّ. فلو عملت عملاً من أجل أن ترضيني أو ترضي فلاناً، أو من أجل أن ترضي أخاك أو أمك أو زوجتك أو خلافه لكنك لا تريد به وجه الله، فقط حبط هذا العمل وأنت لا تشعر، ولا تجده يوم لقاء الله عزَّ وجلَّ.

فنحن نعوِّد أنفسنا أن لا نعمل عملاً صغيراً أو كبيراً إلا إذا كانت فيه نيَّة خالصة صادقة لله، وإذا كنت لا أستطيع أن استجمع النية فلا بد أن أعرض نفسي بصدق ويقين على أخ لي سبقني في الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا أداري عنه شيئاً، حتى يسدي لي النصيحة، ويعرفني الطريقة الصحيحة التي أخرج بها من هذه العقبة – المطب.

لكن نفسي قد تضحك عليَّ وتقول لي: داري وخلاص، وهذا لا ينفع، فالمداراة تكون مع السفهاء، وهي من أخلاق الأنبياء وليست من

أخلاقنا، وقال فيها: (داروا سفهاءكم). هل ينفع يا إخواني داروا علماءكم؟ أو داروا حكماءكم؟ أو داروا عرفاءكم؟ لا ينفع. لأني أنا هنا إنما أضحك على نفسي، وعندها أدخل في قول الله (٩:البقرة).:

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾

لذا لا تنفع المداراة مع هؤلاء القوم أبداً.

وقد يقول أحدهم: إنني أريد أن أمتحنه، هل يعرف ما بداخلي أم لا؟ وقد يحدث مثل هذا، النفوس فيها مثل هذا!! أنت الذي تمتحنه أم أنه هو الذي يمتحنك؟!! إذا كنت تريد أن تمتحنه فأنت لست من أهل الطريق بعد، لأن الإخوان الصادقين لا يشكُّون، ولا يجرِّبون، ولا يخادعون، ولا يغترون، ولا يجترئون على الخروج عن الآداب مع الله عزَّ وجلَّ، ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، ومع العلماء الربانيين والحكماء الروحانيين. لا يصح أن أجرب، حتى التجربة مع الله عزَّ وجلَّ لا تنفع – لأنه ما زال عنده شك – وأساس انتفاع المريد من شيخه العقيدة، وإن اهتزت العقيدة فلا يوجد انتفاع، لأن المريد يُحرم بركة الانتفاع، فلو كان شيخي شيخاً للوجود كله، لكنني معتقد أن مشيخته صغيرة فلا أنتفع.

إذن فالانتفاع من أين يأتي؟ ... الباب عندك أنت!!

البحر على الدوام جاري والأمواج متدفقة، لكن الذي يريد المياه يعمل لنفسه طريق أو قناة أو موتور أو غيره، يأخذ منه ما يريد، وليس البحر هو الذي يعمل له هذا، فالسكة هذه .. منك أنت. اعتقدت فيه، ورأيته أمامي لا مثيل له، ولا نظير له، وهو رجل متواضع ليس عنده شيء مثلي. ورد في الأثر: (من اعتقد في حجر نفعه ربُّ ذلك الحجر) ... لماذا؟ بعقيدته ..

فأساس الطريق – يا إخواني – العقيدة السليمة بين المريد وبين شيخه، وإذا ظن أنه على النهج الحسن لكنه قال في نفسه: ربما يكون هناك من هو خير منه، وما علي إلا أن أبحث هنا وهناك، فمثل هذا لم يستقر بعد، لأنه ما يزال يبحث عن مدرسة يقدم فيها، فكيف ينتفع؟!! وما الذى سينتفع به؟!! فقد قال الإمام الشعراني ﷺ: (كما أن الله عزَّ وجلَّ لا يحب أن يشرك به أحد، فكذلك العارفون لا يحبون أن يشرك المريدون في قلوبهم حُبَّ أحد). هذا هو شرط الانتفاع.

الحُبُّ العام لا شيء ولا حرج فيه، فنحن نحبُّ الكل، لكن الحبَّ الخاص يكون لواحد فقط، لأنه لا يصح أن يُعالج المريض من ثلاثة أو

أربعة أطباء – كلهم أساتذة في الجامعة، وهو كذلك – لكن استعمل روشتة من؟ واحد فقط.

حتى في الطب الظاهر، أعظم طبيب في العالم، وأنا لا أثق فيه، أأُشفى من علاجه؟ أبداً. ورجل طيب متواضع للغاية، ولكنني أثق فيه، أأُشفى على يديه أم لا؟ الطب كله – يا إخواني – مبني على الثقة، فالذي أثق فيه هو الذي ينفعني الله على يديه، ويأتي لي بالشفاء على يديه.

باب الصِّدق

فشرط الانتفاع بين السالك والعارف الاعتقاد. فالاعتقاد هو الباب الذي تأتي منه الواردات الرحمانية، والتجليات النورانية، والفتوحات الربانية، من قلب العبد الصالح إلى قلوب وصدور المريدين والسالكين، سرَّ قوله صلى الله عليه وسلم: (ما صُبَ في صدري شيء إلا وصببته في صدر أبي بكر)[٣١]، كل الذي ينزل هنا، أنزله هنا؟ لماذا؟ لأن الأمر

[٣١] ذكره العلوجي في كشف الخفا ، موسوعة أطراف الحديث: (التذكرة).

هكذا: (لو وزن إيمان هذه الأمة – الأمة التي كانت في زمانه – بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر)[٣٢].

فلكي أنتفع مثل هذا الانتفاع فلا بد أن أكون في درجة الصديق، وفي مكانة الصديق من العقيدة والإيمان. لماذا سُمي بالصديق؟ لأنه صدَّق بكل شيء، ولما جاءوا يشككوه قال لهم: لماذا تشككوني؟!! إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في الخبر الذي يأتيه من فوق العرش إلى الأرض في لمح البصر، أفلا أصدقه أنه أتي مكان كذا أو كذا!! فأنا مصدق على الدوام. ولذا قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

والصِّدقُ سُلَّمٌ للوصال ومنزلٌ يرقى به الصِّدِّيُق أرفع رتبة

ما سلم الوصال؟ ..... الصدق.

وما باب الدرجات العلية؟ .. الصدق والتصديق على قدم الصدِّيق ... والله عزَّ وجلَّ جمع هذا الأمر في كلمتين (٣٣:الزمر):

---

[٣٢] أَخْرَجَهُ ابنُ عَدِيّ في "الكامل" وَمِنْ طَرِيقِهِ: ابنُ عَسَاكِرَ في "تاريخ دمشقَ" عنْ نَافِعٍ عَنِ ابن عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: (لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الأَرْضِ لَرَجَحَ)، ورواه ابن عساكر والبيهقي موقوفاً عن عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ: ((لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِمِ)).

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾

الذي جاء بالصدق وصدق به، أهو مفرد أم جماعة؟ لكن الآية أعطتنا معنى فريداً وعجيباً، فلم تقل هو من المتقين؟ فالذي جاء بالصدق هو سيدنا رسول الله، والذين صدقوا به قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾. لكنه أزال الفجوة بينهم لأنه لم يعد بينهم بَيْنٌ.

لأنه لا يصح الحبُّ بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر: (يا أنا)، حتى تزول الفروق، وينمحي البين، وينتهي الغين، ويرتفع الرين والحجاب، ولا يبقى بينهما إلا نسب الله عزَّ وجلَّ، والهدى والتقى والعفاف – فلم يعد بينهما فروق – فجمع الاثنين وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾، وقصر التقوى على هؤلاء القوم الذين كانوا على عتبة التصديق للنبي الرفيق ﷺ.

فعندما يأتي أحد ويقول: بقي لي كم سنة ولم أر شيئاً، ويأتي آخر حديث عهد ويروي رؤية من الرؤيات الصالحة، أو مشهد من المشاهد المباركة، فيقول: كيف يرى هذا وأنا لم أر مثل ذلك؟!! نقول له: لا تلومن

إلا نفسك: (ليس الطريق لمن سبق إن الطريق لمن صدق). أتى اليوم وصدق، وأنت لك ألف عام بدون صدق.

ألف عام – بغير الصدق مع باب التهامى – هي نَفَسٌ بشري لأهل السماح ... ونفس واحد مع الصدق خير من ألف عام مع العبادات والمجاهدات، والمكابدات الفادحات التي يفعلها الإنسان من غير إذن أو إشارة من باب الله عزَّ وجلَّ، لأنه عندما يأذن لك فإنه يفتح لك الطريق على التحقيق.

إذن .. فرأس الأمر للسلوك إلى الله عزَّ وجلَّ – يا إخواني – أن يخلص الإنسان النيَّة، ويصفِّي الطويَّة، ويحسن الظن واليقين. يحسن الظن واليقين بعد إخلاص النية وصفاء الطوية في شيخه وإخوانه، حتى لو رأى من بعض إخوانه شيئاً لا يوافقه ولا يعجبه ينبههم إليه برفق ولين فيما بينه وبينهم، وليس على الملأ.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

* * * * ٣ * * * *

الفصل الرابع

محيط الكمالات

- معجزات الأنبياء .. بعض معجزاته ﷺ
- كرامات نوابه وورثته ﷺ
- محيط الكمالات
- الذين معه ﷺ

محيط الكمالات[٣٣]

الحمد لله على فضله العظيم، والشكر على كرمه العميم، أن أيقظنا وفكرنا بهذا النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه .. فلو مكث الواحد منا – يا إخواني – ساجدًا على الجمر، من بدء الدنيا إلى آخرها شكرًا لله عزَّ وجلَّ على أن جعلنا من أفراد هذه الأمة المحمدية، لما استطاع أن يؤدي بعض الواجب علينا لله عزَّ وجلَّ، نحو هذه النعمة العظمى والرحمة الكبرى صلوات الله وسلامه عليه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على محيط الكمالات، ومنبع الجمالات، ومظهر الفيوضات والإلهامات، ونبع الحنان والشفقة والرحمات لجميع الكائنات، التي أوجدها الله منذ بدء الحياة إلى يوم الميقات. أما بعد

فيا إخواني .. علمنا قبل الصلاة أن سيدنا مُحَمَّد ﷺ هو المحيط الأعظم للكمالات الربانية، وهو الجامع لجميع المكارم الإنسانية، وهو الكنز لجميع الخيرات والأعطيات والنفحات الإلهية والرحمانية. ولو نظرنا

---

[٣٣] كان هذا الدرس في احتفال الجمعية العامة للدعوة إلى الله بذكرى المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة يوم الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٤١٢ هجرية الموافق ١٩٩١/٩/١٩.

في كمالات الأنبياء السابقين نجدها بعض كمالات سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وكل آي أتى الرسل الكرام بها

فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها

يظهرن أنوارها للناس في الظلم

كل معجزة فريدة ووحيدة، اشتهر بها نبيٌّ من الأنبياء السابقين، فإنما هي بعض معجزات سيد الأولين والآخرين، ولو نظرنا في هذه المعجزة الفريدة، نجد أن هذا النبي لم يدرك فيها رسول الله ﷺ في هذا الباب، أما في جميع أبواب المعجزات الإلهية، فهذا مطلب عجزت عنه جميع الأرواح العلية.

فمبلغ العلم فيه أنه بَشَرٌ وأنه خيرُ خلق الله كلهم

الكل يقف عن هذا الجمال حائراً، والكل يقف عند هذا الجمال العظيم مبهوراً، مما يرى فيه من أنوار وأسرار لا يطلع عليها إلا الأبرار، الذين نقاهم وصفاهم وقربهم إليه العزيز الغفار عزَّ وجلَّ.

معجزات الأنبياء بعض معجزاته ﷺ

فلو أخذنا معجزة بعض الأنبياء بالترتيب: معجزة سيدنا نوح عليه السلام، كانت السفينة التي تسير على الماء، فالسفينة التي تسير على الماء – من غير حاجة – لأنها مجهزة لذلك، لكن الحجر كيف يَسْبَحُ على الماء؟. فليس مجوفاً، وليس خفيفاً، وليس مرجاناً، وليس له مجاديف، فلا يصلح أبداً في هذا الشأن.

ولكن حتى يظهر الفارق بين المثل الأعلى صلى الله عليه وسلم، وبين سيدنا نوح عليه السلام، ظهر لما أشار للحجر وجاء يَسبَحُ على سطح الماء، حتى أنه ليس هو ﷺ الذي أشار له، وإنما قال للصحابي: اذهب وقل له يأتي، فَسَبَحَ الحجر على الماء، حتى وصل إلى سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم، حتى إذا أخذ حظه من الرحمة الإلهية، ومن العطايا الرحمانية، قال له: ارجع ثانية، فرجع إلى مكانه.

سيدنا موسى عليه السلام ماذا كانت معجزته؟ العصا، والعصا كان يشير بها إلى عصيهم وحبالهم فبلعتها كلها في الحال، ولكن هذا كله كان خداعاً من السحرة (٦٦:طه):

﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾

رسول الله ﷺ، لما ظهر في المدينة المباركة، واليهود أتقنوا كل فنون السحر، وعملوا ما في وسعهم، فأحدث لهم آية بسيطة جداً أفسدت عليهم كل سحرهم، من زمانه وأوانه إلى يوم القيامة ... ماذا فعل؟ ... جعل الشمس بعدما غابت، أشار إليها فظهرت مرة ثانية ورآها الناس كأنها في ساعة العصر، تغير الزمن لكن في وقتنا الحالي كل الموجود حالياً أوهام وحيل يضحك بها السحرة على الناس، لكن أين السحر الذي كان موجوداً من قبل؟!! انتهى من زمن رسول الله ﷺ.

العصا يضرب بها الحجر الذي يحمله معه، يتفجر منه اثنا عشرة عينا، يشرب منها قومه .. ولا غرابة من ذلك، فإنه شيء طبيعي أن يخرج الماء من الحجر، لكن الماء يخرج من الأعصاب والأوردة، حتى أصبح كل أصبع من أصابع رسول الله عيناً يجري بالماء. من أين أتت بالماء؟. فليس هناك إلا الشرايين، وأوردة ودم، ولحم ودهون، وغيره!!.

هذا هو الإعجاز الذي فاق فيه رسول الله ﷺ سيدنا موسى عليه السلام، وليس بوسعنا أن نقارن بين هذا وذاك.

المعجزة التي أظله الله بها – كان يجعل السحابة تمشي معه وفوق رأسه – بعد النبوة – حتى تقيه حر الشمس وهو في صحراء سيناء مع قومه. هذا الكلام كان مع رسول الله ﷺ قبل النبوة، ولم يكلف بعد، ولم يبعث، ولم ينزل عليه جبريل.

كرامات نوابه وورثته ﷺ

وكل هذه المعجزات أجراها الله على أيدي أحبابه وأصحابه، ونوابه وأولياءِه من بعده ﷺ، إكراماً لهم حتى يكونوا كما قال سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ: (معاشر الأنبياء: أوتينا ما لم تؤتوا، وإنما كان لكم اللقب). فكل الذي أخذتموه أخذناه ببركة رسول الله ﷺ.

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر من تونس إلى الإسكندرية، وقال له: يا أبا الحسن، انزل إلى مصر فإن لك بها شأناً، وستربي بها رجالاً. وأعطى له الكشف، فلان وفلان وفلان، كم عددهم؟. أربعون رجلاً من الأفراد. قال له: يا سيدي، الحر شديد، والطريق ليس به ماء. انظر إلى مدى الدلال مع رسول الله!! قال: سنظللك ما دمت سائراً في الطريق، وكلما عطشت أنزلنا لك الماء. فمشى والسحابة تظله حتى وصل إلى الإسكندرية – وهذا ولي من الأولياء وليس نبيًا من الأنبياء – وكلما عطش نزلت السماء بالماء، فيملأ هو ورفاقه السقاء، ويشربون ويسقون دوابهم، حتى وصلوا إلى الإسكندرية بإذن الله.

وغيره وغيره كثير، ولكننا نذكر مثلاً حتى نعرف أن هذه الأمور أخذها بعض الضعفاء في أمة مُحَمَّد ﷺ إكراماً له صلوات الله وسلامه عليه.

ما غاية ما وصل إليه سيدنا موسى؟ .. أنه تكلم مع الله.

ومن أين؟ .. من فوق جبل الطور.

ولكنه قال له: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ .. قال له: لا .

﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١٤٤:الأعراف)

لكن الحبيب ﷺ، كلمه الله من فوق بساط النور، وليس هناك ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل، وإنما:

﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ . مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (١٠، ١١:النجم)

سيدنا داود عليه السلام، كان يمسك الحديد ويثنيه فيلين في يده – لا بأس هذه عمليه سهلة – لكن كيف يمسك الضرع الذي لم يسبق له أنه افتتح مصنع الألبان الخاص به، لأن صاحبته لم ينزو عليها الفحل بعد – والمصنع هذا لا يعمل إلا بعد أن تحمل أنثى الحيوان وتضع مولودها، فيأذن الفتاح بفتح هذا المصنع من أجل وليدها – كيف لهذا الضرع بعد أن يمسكه رسول الله ﷺ، أن يلين ويدر اللبن؟. هذا هو العجب العجاب!!.

فعندما ذهب إلى سيدنا عبد الله بن مسعود – وكان هذا سبب إسلامه – قال له: يا غلام اسقينا (لبنًا). قال له: إن الغنم ليست ملكي وإنما أنا أجير. قال اعطني شاة لم ينزُ عليها الفحل – لم تزل بكراً بعد –

فأعطاها له، فأمسك صلى الله عليه وسلم بضرعها فتفاج اللبن، ونزل اللبن بغير حساب، فشرب وشرب سيدنا أبو بكر، وشرب سيدنا عبد الله بن مسعود، ثم أشار إلى الضرع فقلص وعاد كما كان. هذه هي المعجزة !! وهذا هو الإعجاز!![٣٤]

سيدنا سليمان عليه السلام قال: أريد مُلكًا لم تهبه أحداً من قبل ولا تهبه لأحد من بعدي، قال: كذلك .. المُلك أمر سهل، (إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا لمن يحب)[٣٥] ...

---

[٣٤] روى الامام أحمد وابن حبان وأبو يعلى والطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: {كُنْتُ غُلاَمًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ بِمَكَّةَ، فَأَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: (يَا غُلاَمُ، عِنْدَكَ لَبَنٌ تَسْقِينَا؟)، قُلْتُ: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا. قَالَ:(فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ بَعْدُ؟) قُلْتُ: نَعَمْ. فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا، فَاعْتَقَلَهَا أَبُو بَكْرٍ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الضَّرْعَ فَدَعَا فَحَفَلَ الضَّرْعُ، وَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ فَحَلَبَ فِيهَا، ثُمَّ شَرِبَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ ثُمَّ سَقَانِي، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: (اقْلِصْ)، فَقَلَصَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: "عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ الطَّيِّبِ – يَعْنِي الْقُرْآنَ– فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّكَ غُلاَمٌ مُعَلَّمٌ)، "فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً مَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ".

[٣٥] روى الامام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وهذا لفظه: (ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين الا لمن يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه. والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: غشمه وظلمه، ولا يكسب عبدٌ مالاً

(إلا لمن): يعني؟. إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه هو حبيب الله. الدنيا سهلة .. لكن الآخرة: الشفاعة .. المقام المحمود .. الحوض المورود .. اللواء المعقود .. والكرم والجود من غير حدود .. كله هناك لمن؟. لسيد الوجود ﷺ، حتى أن من يريد أي كرم من الكريم، لا يناله إلا عن طريق عبد الكريم الأول ﷺ، حتى الأنبياء عليهم السلام، فالذي يريد منهم إكراماً يذهب إلى من؟!! .. إلى رسول الله ﷺ.

وَأَنْتَ بَابُ اللهِ أيُّ امرِيءٍ أَتَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لا يَدْخُلُ

لا أحد من السابقين ولا من اللاحقين، يدخل إلا من طريق رسول الله ﷺ.

والباب طويل ... ولو أخذنا في ذكر معجزات الأنبياء وكيف أخذوها عن سيد الأنبياء ﷺ نحتاج إلى دهر طويل ووقت كثير، لكن بالأمثال يتضح المقال. ونحن – والحمد لله – كلنا حكماء وعلماء وعرفاء، ونقيس على الأشياء والنظائر، لأن هذا من باب العلم، أنت

من حرام فتنفق منه فسادك له فيه، ولا تتصدق به فقيرا منه، ولا تتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار، ان الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، وإن الخبيث لا يمحو الخبيث).

تأخذ المفتاح وتفتح وتأخذ من الخزينة، لكن تأخذ الخزينة كلها مرة واحدة لا يصح.

انظر إلى خزائن الأنبياء والمرسلين وما آتاهم الله من علم، وما آتاهم الله من حكمة، وما آتاهم الله من معجزات، وما آتاهم الله من آيات، وما آتاهم الله من نصر وتمكين، فانسبه إلى بحار سيد الأولين والآخرين، وكنوز فضل الله كلها في قبضة سيدنا مُحَمَّد ﷺ. وتأتي بعد ذلك أيضاً كل الكمالات الدنيوية والأخروية، والإلهامية والاصطفائية والإجتبائية، كلها من كنز الفضل الأعظم ﷺ.

فالرجال – كما قلت – الذين تلقوا هذه الكمالات من الثلة المباركة، الذين كانوا لهم الكمالات الروحانية فقط لم يبلغ أحد منهم الغاية في كمال من هذه الكمالات، ولكن كل واحد أخذ ذرة أو قطرة أو بعض قطرة من الكمال المحمدي في فرع من الفروع، وفي فن من الفنون. لكن الكمالات الروحانية المحمدية كانت موزعة على مائة وأربع وعشرين ألف نبي، كل نبي منهم أخذ قبساً من تلك الكمالات المحمدية، فلم تجمع تلك الكمالات إلا في رسول الله ﷺ، وكل واحد منهم أخذ قبساً منها، ورجعت الحقائق إلى بحرها كما ترجع المياه إلى مستقرها.

الشمس يسلطها الله على البحر الأعظم، فتبخر منه ما يحتاجه أهل الزمان، ويرتفع إلى سماء العصر، وتسوق الملائكة السحب إلى جبال نزولها

وإلى مهبط أوديتها، ثم تنزل فينتفع به الأناس والنباتات والحيوانات، والباقي يرجع إلى البحر مرة أخرى.

محيط الكمالات

رجعت تلك الكمالات إلى سيدنا رسول الله – محيط الكمالات الأعظم – فوزعها على من حوله، ومن أجل ذلك لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كمل عدد الروحانيين من حوله إلى مائة وأربعة وعشرين ألفاً، كل واحد منهم ارتدى حلة نبي من الأنبياء السابقين، وكل واحد منهم أخذ كمال رسول من الرسل السابقين، وكل واحد منهم كان على قدم نبي من الأنبياء السابقين – ﷺ وأرضاهم أجمعين.

فَمِائَةٌ مِنْ الآلافِ عِشْرُونَ بَعْدَهَا

مَشَارِبُ رُسُلِ اللهِ بِالإِجْمَالِ

فَلِي قد تَجَلَّتْ بَلْ وَفِيَّ قَدْ انْجَلَتْ

فَسَلِّمْ لَنَا تَحْظَ بِخَيْرِ وِصَالِ

كل هذه الكمالات وزعها على الموجودين، هذه الكمالات الروحانية فقط، فما بالكم بالكمالات النورانية؟! والكمالات اللاهوتية؟!

والكمالات الرحمانية؟! والكمالات العظموتية؟! .. كمالات لا نهاية لها، حتى أن الذي وصل إليه رسول الله ﷺ في أي فن من الفنون الظاهرة، فإنه أيضاً هو المثل الذي يجب أن يحتذى.

فالذي يريد أن يبلغ الغاية في التجارة ماذا يفعل؟. يفعل كما فعل التاجر الأول ﷺ. عندما ذهب ليتاجر للسيدة خديجة ﷺ، ذهب ومكث نصف الساعة في السوق، فباع كل ما معه وبعشرة أضعاف وعاد، والذين كانوا معه لم يعرضوا بضاعتهم بعد!!.

كيف ذلك؟!! ... هذا كنز من الكنوز، والذي يريده يطلبه من رسول الله ﷺ. ينظر إلى رسول الله التاجر، كيف كانت صفاته، معاملاته، شكله، نظامه، فيفاض عليه كما أفيض على ابن عوف ﷺ، حتى قالوا فيه: لو تاجر في تراب لربح فيه ذهباً!! لأنه تعلم من الأستاذ الأول فن علوم التجارة، أخذ هذا الفن من مصدره الأصلي، من منبعه الحقيقي صلى الله عليه وسلم.

الذي يريد أن يبلغ الغاية في الزراعة كذلك!! عندما أراد سيدنا سلمان الفارسي أن يصبح حرًّا قال الذين يملكونه من اليهود: لنا شرط. ما هو؟ .. قالوا: تدفع لنا أربعمائة نخلة كلها تثمر، والنخل غالي في المدينة، كيف يحصل عليها؟. قال له النبي ﷺ: أطلب من إخوانك الأنصار أن يأتوا بأربعمائة فسيلة نخل صغير، وإياكم أن يزرع أحد شيئًا

إلا بعد أن أزرع أنا أولاً – حتى أعلمكم كيف تزرعون فن الزراعة الذي لم يصل إليه أحد من السابقين ولا اللاحقين – لا يصل إليه إلا المؤمنين. يتعلمون ممن؟ مِنْ سيد الأولين والآخرين.

جهز الفسائل، وجهز الذريعة، وجاء سيدنا رسول الله ﷺ، وزرع النخل كله، ما عدا واحدة كان قد زرعها سيدنا عمر ﷺ، أحب أن يتعلم لكنه لم يكن قد وصل إلى المستوى المطلوب، لكنه والحمد لله وصل بعد ذلك ...

في نفس العام، الثلاثمائة والتسعة والتسعون نخلة كانت قد أثمرت!!

الذرِّيعة تأخذ كم حتى تثمر يا إخواني؟ سبع سنين!!

ذهب إلى اليهود، قالوا: نحن نريد الأربعمائة. رجع إلى رسول الله، فقال له: هل زرع أحد غيري؟ فقلعها وزرعها ثانية فأثمرت في الحال. إنه فن الزراعة الذي علمه له الله في قول الله (٦٣، ٦٤:الواقعة):

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾

كأنه قال: من يريد أن يصل إلى هذا المستوى يجتهد حتى يصل إلى مقام: (كنت يده التي يبطش بها)[٣٦]. فاليد التي تزرع ليست هذه اليد، فالذي يزرع ينبت في الحال!! .. .ولو كانت العقول والأجسام تتحمل، كان بوسعه أن يجعله كزرع الجنة .. الذي يقطف يثمر غيره، لكن العقول لا تتحمل هذه الأحوال، قال: كفى عليكم الأمر عند هذا الحد.

الذي يريد أن يكون مدرساً ناجحاً ينظر إليه ﷺ، فالذي لديه تلميذ مشاغب في فصله، يسبب له متاعب، ويجعله يصاب بالضغط ولا يستطيع السيطرة عليه، كيف كان يجلس الحفاة الجفاة الغلاظ – الذين عجز الكل عن أن يسوسهم – لا كسرى ولا قيصر ولا غيرهما – ويجعلهم يجلسون كأن على رؤوسهم الطير!! هذا هو فن التدريس، فلا يصدر منهم حتى الهمس!! كيف كان هذا؟ هذا ما نتعلمه من رسول الله ﷺ.

---

[٣٦] رواه البخاري وأحمد بن حنبل والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ، أن النبيَّ ﷺ قال: قال الله تعالى: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب مني، وما تقرب لي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ومازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يمشي بها، وإذا سألني لأعطينه، وإذا استغفرني لأغفرن له، وإذا استعاذني أعذته).

حتى أنه ﷺ كان يعلمهم الكتابة، ويقولون أنه ﷺ كان لا يستطيع الكتابة!!، فكيف كان يعلم الكتابة؟! كان يقول لأحدهم: أمسك القلم بيمينك، وكبر الباء!! كان لا ينام أحد منهم أو يسهو في الدرس، لماذا؟

إذا نظرتم إلى الطرق التربوية التي كان ينتهجها عجيبة وغريبة، مرة يسأل سؤالاً ليلفت أنظارهم، ومرة يأتي بفزورة: (شجرة تشبه المؤمن)[٣٧] .. ما شكلها؟ وما اسمها؟ ... لماذا؟ حتى يشغل فكرهم ويدربهم –فهذه هي الرياضة العقلية التي تشغل الذهن وتنمي الفكر – ومرة يأتي لهم بمعلومة تاريخية، ومرة .. ومرة .. لا يتعلمها إلا كمل الرجال، ومن أين؟ ... أين هي الطرق التربوية التي تعلم هذا الأمر؟. لا يوجد إلا الطريقة التربوية النبوية التي يستقيها العبد المؤمن من خير البرية ﷺ.

حتى في الحرب .. علم القادة كيف ينتهجون الفنون الحربية، التي لم تظهر على حقيقتها إلا من الحضرة المحمدية، كيف يكون واحد مهزوم في معركة حربية ويجمع الجنود ويقول لهم: هيا بنا وراءهم – وذلك في معركة

[٣٧] في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ .. فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: هي النخلة. قال فذكرت ذلك لعمر، قال لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا).

أحد عندما جمع الباقين وقال لهم: هيا بنا وراءهم. ولما سمع الكفار بذلك، تهيأ لهم أن هناك مدداً قد أتى لرسول الله من المدينة، فقالوا لبعضهم: هيا بنا نفر ونحفظ النصر الذي أحرزناه وظفرنا به ولا نضيعه ... وماذا كان يقصد ﷺ؟ كان يقصد أن لا يطمعهم النصر ويغريهم فيغزوا المدينة نفسها.

ومن الذي وضع الخطة وقال للرماة: انتصرنا أو انهزمنا فلا تتحركوا عن أماكنكم؟ ... ذاهب للغزو يوري، يقول: أنا ذاهب إلى المكان الفلاني، وهو ذاهب إلى مكان الغزو، ويقول:(الحرب خدعة)[٣٨] .. هكذا نظامها ... متى يغزو؟. يغزو في الثانية ظهراً، وهي ساعة القيلولة، والجو شديد الحرارة ... وغيرها من فنون المعارك، ولكني أذكر فقط بعض الأمثلة ... والأمثلة كثيرة لمن يفتح هذه الكنوز، ولكن ليس من الكتب وإنما من باب الإلهام، ليأخذ من نبع المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، ذلك النبع الصافي الذي علمه له الملك العلام عزَّ وجلَّ ... لكن كل الذي كتب في الكتب تدخلت فيه الأخبار، وتدخلت فيه الأهواء، وتدخلت فيه الآراء فعمت على الصافي الذي أتى به سيد الأنبياء ﷺ.

[٣٨] روى البخاري ومسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنهما.

الذين معه

لماذا لا نستطيع أن نكون كالذين كانوا حوله ﷺ؟

لأن من حوله أخذوا من النبع الصافي، لكننا نقول فلان يقول وفلان يعيد!! والإغريقي يقول، والإنجليزي يقول، وحتى يأتينا بقول رسول الله يكون العقل قد تاه!!! ... أما هم فإنهم أخذوا الصافي من رسول الله مباشرة. فمن يريد أن يكون مثلهم، عليه بالنبع الصافي من رسول الله ﷺ.

كيف يتعامل المسلم مع زوجته؟ كيف يتعامل المسلم مع بناته؟ كيف يتعامل المسلم مع أبنائه؟ كيف يتعامل المسلم مع جيرانه؟ كل هذه البروتوكولات، المثل الأعلى والأغلى فيها هو سيدنا رسول الله .. والذي لا يستطيع أن يتعامل مع زوجه واحدة تقول كتب السير أنهن كن أحد عشر، حتى يضرب المثل الأعلى، كيف كان يتعامل مع الإحدى عشر؟ والتي منهن من قتل أباها وعمها وزوجها، حتى أن سيدنا أبا أيوب الأنصاري ظل يحرس رسول الله ﷺ طوال الليل، ولما سأله ﷺ عن سبب وقوفه قال له: إنها يهودية وليس لها أمان يا رسول الله، فدعا له صلى الله عليه وسلم، من أجل هذه الوقفة.

هذه الزوجة التي حصل معها كل هذا، عندما جاء صلى الله عليه وسلم في اللحظات الأخيرة وهو يجود بأنفاسه، ويظهر الألم، تقول له: {ليت

الذي بك بي يا رسول الله. وعندما تضحك باقي زوجاته صلى الله عليه وسلم فيقول لهن: علام تضحكن وتتغامزن، (والله إنها لصادقة) ... كيف تكون إنسانة أبوها وعمها وزوجها – وقد كانت حديثة العرس – يقتلون، وتصل محبتها له ﷺ، أن تقول له: (ليت ما بك بي يا رسول الله؟!!){٣٩} ... إنه يعلمنا الدرس الأعظم، والمثل الأكرم، في معاملة النساء – صلوات الله وسلامه عليه.

خصال رسول الله، وأحوال رسول الله – يا إخواني – هذه انبثت في أصحاب رسول الله ﷺ حتى كانوا كل واحد منهم على قدم رسول من رسل الله السابقين، أو نبي من أنبياء الله السابقين، ومن أجل ذلك عندما أراد الله أن يتحدث عنه في القرآن لم يصفه كله مرة واحدة، وإنما أعطى لكل عضو من أعضائه آية، لماذا؟ لأن كل عضو من هذه الأعضاء، وكل مظهر من هذه المظاهر كان قلبه قريب من قلب رسول الله، فهذا أمر عظيم جدًا، فكل فرد منهم آية من آيات الله، ولذلك قال الله (١٠٦:البقرة):

---

٣٩ أورد ابن حجر في "الاصابة"، وابن سعد في "الطبقات": عن زيد بن أسلم ﷺ قال: اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، واجتمع اليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله لوددتُ أنَّ الذي بك بي، فتغامزت زوجات النبي ﷺ، فقال ﷺ: (وَاللهِ إِنَّهَا لَصَادِقَةٌ)

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾

هؤلاء فيهم أحوال رسول الله.

حتى الصفات الحسية والكمالات الجسمانية، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ فيها الغاية ... في تناسق الأعضاء، وفي دقة الصنع للأعضاء الجسمانية الهيكلية، حتى أنه الصورة الظاهرية الأكملية التي أوجدها الله في عالم المثالية، فمثلاً عيناه الظاهرة منتهى الكمالات لصنع الله تعالى للأعين البشرية، وفمه الظاهر صلوات الله وسلامه هو غاية الغايات في صنع الذات الإلهية للأفواه البشرية.

لكن ليست هذه الغاية التي كان يقف عندها أصحاب رسول الله ﷺ، لأن وراء تلك الكمالات كمالات وجمالات لا تظهر إلا للروحانيين. فالكمالات الظاهرية كانت ظاهرة للكل يراها الكافر، ويراها النافر، ويراها المؤمن، صحيح أن المؤمن كان يراها بعين إيمانيه لكنها كانت ظاهرة للكل، أما الكمالات الروحانية التي في الذات المحمدية فإنها بغية الواصلين.

فليست بغيتي أن تكون عيني الظاهرة كعين رسول الله الظاهرية، فهذا صنع قد انتهى منه الله، فلا أستطيع أن أغيرها أو أشكلها أو أبدلها، لكن أريد أن تكون عيني الباطنة كعين رسول الله في النظر إلى الأكوان،

وفي النظر إلى الغيوب، وفي النظر إلى العوالم الخفية، وفي النظر إلى القلوب الإنسانية، وفي النظر إلى الأفئدة الإيمانية ...

هذا هو مطلبي ...

فعين رسول الله الظاهرة ليست هي التي يقول فيها: (إني أرى من خلفي كما أرى من في الأمام)[٤٠]. عندما كان يقف فى الصلاة ويرى من وراءه، وبعد الصلاة يقول: أنت أخطأت في كذا وصحته كذا، وأنت أخطأت في كذا وصحته كذا، وليس هذا بالعين الظاهرة، لأنهم سألوه فقال لهم: (إني أرى من خلفي كما أرى من في الأمام)، وهذا هو مقصد الروحانيين، وهذه حالة أيضًا يكرمهم بها الله عزَّ وجلَّ، فكانت تظهر عليهم.

فمثلاً سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه عندما يقرأ آيات من كتاب الله وهو في الصلاة، يأتي بعد الصلاة ويقول: يا فلان، أنت فهمت من الآية كذا، وأنت يا فلان فهمت كذا ..

---

[٤٠] روى الإمام البخارى من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: (هل ترون قبلتى ها هنا، فوالله ما يخفى علىَّ ركوعكم ولا سجودكم إنى لأراكم وراء ظهري)، وعنه ﷺ عند الإمام أحمد: (والله إنى لأرى من خلفى منا أرى من بين يدي)

كيف هذا؟!! ...

قالوا: هذا ميراث القلوب، أخذ عيني رسول الله، وأصبح ينظر بعين قريبة الشبه من عين رسول الله ﷺ، لأنه عف هذه العين عما حرمه الله، ونظر بها إلى ما كان ينظر به وإليه رسول الله ﷺ، فكان على الدرب، وكان على القدم الذي ينظر به وإليه رسول الله ﷺ.

فمنهم من كان عينه، ومنهم من كان لسانه، ومنهم من كان سمعه، ومنهم من كان يده، ومنهم من كان رجله، ومنهم من كان قلبه ... كل واحد منهم ورث عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ الروحانية، وكانت به منزلته عند الله عزَّ وجلَّ.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرجع لنا هذا الحال، وأن يديم لنا هذا الوصال، وأن يرزقنا تلك الأحوال، وأن يجملنا بما جمَّل به عباده الأبدال.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

ونستغفر الله من كل قول وعمل

****** ٤ ******

الفصل الخامس

احتفاء المقربين بميلاد سيد المرسلين

- الصورة المحمدية

احتفاء المقربين بميلاد سيد المرسلين

ما العبرة التي نأخذها بمناسبة ذكرى ميلاد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

العبرة بأن يولد في قلب كل منا صورة حية لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا اشتاق الإنسان إلى رسول الله وزاد هذا الشوق وقوي ذلك الغرام، تنزل رسول الله ﷺ من عليائه، ومن كبريائه، فأضاء في أفق هذا القلب صورة نورانية.

هذه الصورة النورانية تحيي هذا الهيكل وهذا الجسم، تحيي كل حقائقك، وتحيي كل ما فيك من موات، وتجعلك حيًّا يقول فيك الله عزَّ وجلَّ (١٢٢:الأنعام):

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾

ويقول فيه الله عزَّ وجلَّ (٧٠:يس):

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾

هذه الحياة – يا إخواني – بدء الحياة الإحسانية، فالحياة التي نحياها الآن كلنا – والحمد لله – اسمها الحياة الإيمانية، الحمد لله أحيانا الله الحياة الإيمانية، لأننا نطيع الله، ونفعل ما أمرنا به الله، وننتهي عما نهانا عنه الله.

بدء الحياة الإحسانية، أنه ﷺ تظهر صورة من صوره النورانية في أفق قلبك. متى تلمع؟ متى تظهر؟ .. بعد أن يطهر القلب ويصفو من الأغيار ومن الأعذار، ومن الأحقاد ومن الأحساد، ومن الغيظ ومن البغض، ويكون قلبًا لا يحمل إلا كل خير لجميع الكائنات، ولا ينبع منه إلا كل محبة لجميع المخلوقات.

في هذا الوقت تولد الصورة المحمدية أو الصورة الأحمدية، في ذاتك وفي قلبك، وفي فؤادك. هذه الصورة تحيي القلب كله، وتحيي الجسم كله، وتحيي النفس، وتحيي العقل، وتحيي الروح، بنور رسول الله ﷺ الذي يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

فنقطة نور منه تحي قلوبنا
فكيف إذا ما كنت بحراً وأنجما

فنقطة واحدة تحيي القلوب، فكيف بالذي هو بحر من نور رسول الله ﷺ؟!!. فنحن محتاجون إلى نقطة واحدة فقط، تتولد في أرض قلوبنا،

وتظهر بها الصورة في أفق القلب، وعندما تظهر الصورة المحمدية ستكون هي الآمرة الناهية. هي التي تأمر الجوارح، وهي التي تنهاها. وهي التي تفتح العقل أمام العلوم الرحمانية، وتسد أبواب العقل أمام المعلومات الظلماتية والشهوانية. وهي التي تفتح أمام الإنسان مجالات الكمالات حتى يدخل إلى هذه الكمالات ويكون من أهل الجمالات الإلهية.

الصورة المحمدية

هذه اسمها الصورة المحمدية، والتي نحن محتاجون لأن تتولد فينا، كيف تأتي هذه الصورة؟ ... بعد العشق والهيام والغرام في ذات رسول الله ﷺ، عشق يملك على الإنسان كل مشاعره وكل أحاسيسه، ويسكن في كل جوارحه، حتى ينام الإنسان وليس في فكره ولا خاطره ولا في فؤاده إلا النبي العدنان ﷺ، ويقوم من نومه وليس في ذهنه ولا مخيلته ولا في أي حقيقة من حقائقه إلا النبي العدنان ﷺ.

يمشي في عام الدنيا وهو يتخيل هذه الملامح، ويستحضر تلك الصفات، ويترسم خطى سيد السادات، ويحاول أن يكون صورة صغيرة جداً من ذاته الشريفة ﷺ في حركاته وسكناته، وأخلاقه ومعاملاته، حتى إذا جاء يأكل يراه في أكله، وإذا شرب يراه في شربه، وإذا نام يراه في نومه، وإذا قام يراه في قومته، فيكون ﷺ هو المسيطر عليه في منامه ويقظته.

في هذه الحالة تنزل الصورة المحمدية، وتفاض على قلوب العاشقين هذه الصورة الرحمانية. وبهذه الصور التي تنزل في فؤاده يُحفظ من الوساوس الشيطانية، ومن النزغات النفسانية، ومن الأهوء الإبليسية، ويأخذ الوسام الذي يقول فيه الرحمن:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ (٤٢:الحجر)

لأنهم أصبحوا عبيداً لمن؟. للسلطان الأعظم صلى الله عليه وسلم. فالذين خضعوا ظاهراً وباطناً لسلطان رسول الله ﷺ، وأصبحوا وفي قلوبهم حقيقة سيدنا رسول الله ﷺ، هل يستطيع الشيطان أن ينزغ لهم؟!! .. أو يوسوس لهم؟!! .. أو يسوّل لهم؟!! ... لا والله ...

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢:الأنعام)

على الفور لهم الأمن، وكذلك يظلوا مهتدين على الدوام إن شاء الله .. فأنت لن تأخذ الأمن والأمان، ولا تضمن الحفظ من وساوس الشيطان وهمسات النفس والرجس، إلا بعد ميلاد الصورة المحمدية في فؤادك وفي قلبك، ولديها تقول كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه.

فتارة أنا مخمورٌ أراك أنا وتارة أنا عبدٌ ذاته محقت

لأنه – أخيراً – أصبحت الصورة في قلبه.

لست المغني بقولي إلا إذا الفرد أملى

أغيب عنِّي وأملي لمن بسري تحلى

هذا يا إخواني هو الميلاد الذي نحن كلنا محتاجين إليه، وفي هذا الوقت الجسم كله، ومملكتك كلها تقيم احتفالاً بميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يليق بهذه المكانة، ويليق بهذه العظمة.

هذا الاحتفال يكون عبارة عن النزوع الكلي إلى الحضرة الإلهية، والخروج بالكلية وانسلاخ البشرية – مع بقائها – من العوالم الدنيوية، ومن الأهواء والأرجاس الشيطانية، ويكون العبد عبداً روحانياً ... يقوم لله، ويتحرك لله، ويسكن بالله، وينطق بالله، ويقول بالله.

* * * * * ٥ * * * * *

الفصل السادس

حقيقة وجه الحبيب

- ملمح العبودية
- أعباء الرسالة
- جمال الوجه
- إشراقة النور

حقيقة وجه الحبيب

أنشد الشيخ ﷺ بيتًا للإمام أبي العزائم ﷺ قائلاً:

يا نور وجه حبيبي أشرقت للتقريب

نور وجه سيدنا رسول الله ﷺ، والذي قاله لنا مولانا أبو العزائم ﷺ وأرضاه، لم يقل يا وجه حبيبي، حتى لا يسبق إلى العقول والأذهان أنه يقصد الوجه الحسي، لكنه قال، يا نور وجه حبيبي.

ووجه الحبيب ﷺ أيضًا ليس هذا الذي فيه العينان والأنف والفم واللسان، بل وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المظهر الذي يظهر فيه جمالات الله، وكمالات الله، وحسن صفات الله عزَّ وجلَّ.

فسيدنا رسول الله ﷺ يا إخواني حقائقها لظاهرة والباطنة لا نستطيع عدها ولا حصرها، يكفي أن تعلموا جميعًا أن كل كمال في أي عالم من العوالم الظاهرة والباطنة، إنما هو مشكاة وقبس من كمالاته ﷺ، حتى الكمالات الظاهرة في النباتات، والكمالات الظاهرة في الحشرات والإضاءة الخافتة أو الباهتة أو المشعة في الكواكب والنجوم السيارات، كل تلك الإشرافات من وجه رسول الله ﷺ.

ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعنى وجه الرسالة والنبوة. وجه الرسالة والنبوة هو هذا الوجه الذي يواجهنا به، لكن وجه العبدية فيواجه به الربوبية. انتبهوا معي جيدًا، ليس له وجه واحد، بل له وجوه كثيرة. وجه العبدية وهذا يقابل به الذات العلية، عبد ودائماً يتغنى بأنه عبد، ويقول: (أنا عبد الله ورسوله ولن يضيعني الله أبدًا)[٤١] ... وهذا مَنْ؟ عبد الله ورسوله.

ملمح العبودية

وجه العبودية لله يظهر فيه التواضع، يظهر فيه المسكنة، يظهر فيه الانكسار، يظهر فيه الخشوع، يظهر فيه الخضوع، يظهر فيه الإخبات، يظهر فيه الإنابة لله عزَّ وجلَّ. وهذا الوجه هو الذي نستطيع أن ندخل به

[٤١] روى مسلم عن شقيق بن سلمة قال: {جاء عمرُ بنُ الخطاب – فأتى رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: يا رسولَ الله! ألسنا على حقّ وهم على باطل؟ قال: (بلى) قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: (بلى)، قال: ففيمَ نُعطي الدنيَّةَ في ديننا، ونرجعُ ولما يحكم اللهُ بيننا وبينهم؟ فقال: (يا ابنَ الخطابِ! إني رسولُ اللهِ. ولن يُضيِّعني اللهُ أبدًا)

على حضرة الله .. حتى يفيض علينا بعض ما أفاضه على سيدنا رسول الله ﷺ.

فالذي يريد أن يواجه الله فيواجهه الله، بماذا يواجه الله؟. يواجهه بالعبدية، وبثوب العبدية، يوجه وجهه إلى الله وقلبه مملوء بالانكسار، مملوء بالافتقار، مملوء بالرهبوت، مملوء بالخوف من جمال الله وكمال الله وجلال الله، والخوف من الجمال أكثر من الخوف من الجلال، لأن الجمال قد يجعل الإنسان ينبسط، وإذا انبسط ربما يتعرض لسوء الأدب فيُعاقب، لكن طبيعة الجلال تجعل الإنسان فيه خشية وفيه مسكنة.

هذا الوجه هو الذي نستطيع به أن ندخل على الله عزَّ وجلَّ، فيواجهنا بما يواجه به رسول الله ﷺ، فيفتح لنا كنوز الغفار، ويفتح لنا كنوز التواب، ويفتح لنا كنوز العفو، ويفتح لنا كنوز الفتاح، ويفتح لنا كنوز العليم، ويفتح لنا كنوز الحكيم، ويفتح لنا كنوز الحكيم، ويفتح لنا كنوز الأسماء والصفات الإلهية كلها. وهذه هي بعض الكنوز التي يوجه بها الله عزَّ وجلَّ عباده الصالحين وأولياءه المقربين.

أعباء الرسالة

أما وجه رسول الله ﷺ، الذي يواجهنا به، فهو وجه الرسالة، التبليغ، التبشير، الإنذار للكفار والعصاة والفجار، الحكمة، الموعظة الحسنة، الكلمة الطيبة، التفصيل، التوضيح، الشرح، التدريس. هذا هو الوجه – وجه الرسالة – الذي واجهنا به، ولا يزال يواجهنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٩:الفتح):.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾

لم يقل (مُحَمَّد نبي الله)، لأننا ليس لنا شأن بوجه النبوة، فهذا وجه آخر، هو وجه النبوة، وهذا يواجه به الأنبياء السابقين والرسل السابقين، فكان يواجههم بوجه النبوة. وجه النبوة يواجههم بالأقدار، ويواجههم بالإلهامات، ويواجههم بالفيوضات، ويواجههم بالمعجزات، ويواجههم بالتأييد والنصرة، ويوجههم بإذلال العصاة والجاحدين والكفرة، ويواجههم بأشياء لا يعلمها ولا يحيط بها إلا رسل الله وأنبياء الله السابقين. هذا هو وجه النبوة أما نحن فلنا وجه الرسالة.

جمال الوجه

أما الملائكة فيواجههم ﷺ بوجه الجمال، لأنه ﷺ، هو الجمال الذي أبداه الله عزَّ وجلَّ لهم، فآمنوا به من بعد طول مشاهدتهم لمقامات الجلال، وكان الملائكة قبل ظهور ذاته الشريفة يواجهون ذات الله عزَّ وجلَّ بجلالها وكبريائها، فمنهم من هو في كرب منذ خلقه الله عزَّ وجلَّ، فلذلك سموا بالكروبيين من شدة كربهم وخوفهم من الله عزَّ وجلَّ.

ومنهم من هو في رعب منذ خلقه الله عزَّ وجلَّ، ولذلك يتجهمون ولا يبتسمون، وعندما رأى ﷺ إمامهم وزعيمهم مالك عليه السلام، رآه متجهم الوجه، فتعجب كيف يتجهم في حضرته وهو الذي يبتسم الجميع حتى الجمادات بطلعته ﷺ، فقال له سيدنا جبريل عليه السلام: لا تؤاخذه ولا تعنفه يا رسول الله فلو ضحك لأحد قبلك لضحك لك.

هؤلاء الملائكة على اختلاف أصنافهم وأشكالهم ونعوتهم، كانوا ولا يزالون في شدة الخوف من ربهم حتى واجههم الله عزَّ وجلَّ في وجه حبيبه ﷺ بوجهه الجميل، وأظهر لهم جمالاته الإلهية، وإكرامه الرباني، وكشف له ولهم عن بعض رحمته الواسعة، فآمنوا واطمأنوا، وأبشروا وبشروا بعد أن رأوا وجه رسول الله ﷺ الجميل في ليلة الإسراء أو قبلها أو بعدها.

ووجه آخر يواجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم جنة عدن، ووجه يواجه به جنة الفردوس، ووجه يواجه به جنة الخلد، كل جنة من الجنان يواجهها ﷺ بوجه يظهر فيه وعليه الله عزَّ وجلَّ الجمالات والكمالات التي

يريد أن تكون على مثالها هذه الجنان، فيراه الملائكة المكلفون بهذه الجنة فينسجون على منوال ذاته الشريفة، ويصنعون على مثال صفاته المنيفة، التي تظهر لهم في هذا الوجه الذي يكشفه لهم الله عزَّ وجلَّ.

إشراقة النور

وجوه كثيرة وكثيرة، وكلها مظاهر يظهر فيها المصطفى ﷺ، فيظهر لكل قوم بما يلائمهم وما يناسبهم من الأحوال العلية، والأسرار الربانية، والأخلاق الرحمانية. فهذا هو الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه طالب رسول الله ﷺ – وهو يخاطبه – أن يشرق عليه بوجهه النوراني:

يا نور وجه حبيبي أشرقت للتقريب

الوجه النوراني إذا واجه المصطفى ﷺ به إنسان ظلماني مثلي، فإنه يبدل ظلماته بنور من الله عزَّ وجلَّ، ويبدل جهالاته بعلم، ويبدل سفهه بحلم، ويبدل أخلاقه الفاسدة بأخلاق نبوية وكمالات إلهية، لأنه وُوجه بالأنوار القدسية في وجه رسول الله ﷺ. وهذا هو الوجه الذي أمر به الله حبيبه ومصطفاه أن يصلي به على عباده الصالحين (٤٣:الأحزاب):

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾

لقد ذكر الله عزَّ وجلَّ أنه يصلي، وقال سبحانه وتعالى (٢٥٧:البقرة):

﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾

فالله يخرج المؤمنين أجمعين من ظلمات الكفر، وظلمات الجحود، وظلمات النكران، وظلمات الشك، إلى نور الإيمان الصحيح، وإلى نور التوحيد، وإلى نور اليقين، وإلى نور الهداية، لكن المؤمنين الذين يرتقون درجات عن هؤلاء المؤمنين الصادقين – وهم الذين يصلي عليهم في مقام المواجهة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ – في مقام المواجهة.

أما الآية السابقة: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ... وهنا الإخراج في مقام الغَيبة، لأنهم لا يحسون ولا يشعرون ولا يدركون بهذا الإخراج ... وإن كان يظهر حاله عليهم بعد ذلك في أفعالهم، وفي خصالهم، وفي أحوالهم ... ولكن في هذه الصلاة الأخرى يكونون في حالة المواجهة ويشعرون بها، ويتأهبون لها، ويستعدون لها، ويشعرون بكل تقدم يتم عليهم في أحوالهم الروحانية في خلالها أو بعدها.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾: والهوية لا نستطيع أن نتحدث عنها في هذا المقام، لكن رمزها وكنزها هو المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فإنه هو الذي جعله الله سبحانه وتعالى برزخاً بين حضرته وبين جميع الكائنات والمخلوقات. فعندما قال: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ (٣:الحديد)، فإن الله عزَّ وجلَّ ليس له أولية، وليس له آخرية، وبطونه هو عين ظهوره، وظهوره عين بطونه عزَّ وجلَّ، ولكنه أشار إلى الذات المحمدية، فهو الأول في مقامات القرب من الله، وهو الآخر في مقامات الشفاعة والوصل من الله، وهو الظاهر للسابقين واللاحقين ليستمدوا منه أنوار حضرة الله، وهو الآخر في الظهور في الدنيا لأنه هو الخاتم صلوات الله وسلامه عليه.

فـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾ – في مقام التربية المحمدية، وفي مقام الرسالة النبوية – ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ . والظلمات هنا: هي ظلمات الأغيار، وظلمات الأرجاس، وظلمات الأدناس، وظلمات الذنوب، وظلمات العيوب ... هذه الظلمات ينقلنا منها رسول الله ﷺ إلى نور اليقين، وإلى نور الإحسان، وإلى نور الشهود والعيان، وإلى نور العلم الرباني، وإلى نور الكشف الروحاني، حتى نصير كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ (٤٤:الأحزاب). فنسمع التحية من السلام، ونرد

السلام على السلام عزَّ وجلَّ – بعد إخراج المصطفى ﷺ لنا من الظلمات إلى النور.

فصلاة منه وبه عليهم
أخرجتهم فضلاً من الظلمات
قبلة العارفين حال الصلاة
وجه مولى منزهاً عن جهات
وهم قبلة له إذ يصلي
بحنان عليهم للنجاة
فصلاة منه وبه عليهم
أخرجتهم فضلاً من الظلمات

وهذا هو المقام الذي يقول فيه مولانا أبو العزائم ﷺ:

من خمر نور جمالك ومن رحيق وصالك
شربت صرفًا فهمت وهام أهل كمالك
وأصبح القلب نورًا والقلب قد كان حالك

من الذي نوَّر القلب، وبيَّض القلب، وأخرج ما فيه من الظلمات؟ سيدنا رسول الله ﷺ.

فنور وجه رسول الله ﷺ، عندما يشرق علينا ينقلنا من الظلمات. ونور وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو النور الذي يصطفيه الحبيب ليشرق في قلب كل قريب في زمانه وعصره وأوانه،

هذا النور يشرق على القلوب أولاً بنور العلم الإلهي، فينقلهم من العلم الكسبي إلى العلم الوهبي، ثم ينقلهم إلى النور الإلهي. فبعد أن كانوا ينظرون بعيون الرؤوس، ينظرون بعيون الأسرار، فيرون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

********* ٦ *********

الفصل السابع

قراءة رسول الله ﷺ

- لقاء جبريل المشوق بالحبيب ﷺ
- ماذا يقرأ؟
- الخطبة الثانية

قراءة رسول الله ﷺ[٤٢]

الحمد لله رب العالمين .. الذي أنعم على الوجود بخير والد وخير مولود، نبي الهدى والرشاد، والرحمة المهداة والنعمة المسداة لجميع العباد .. من بدء البدء إلى يوم الميعاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كان ولا شيء معه كنزاً مكنوناً ونوراً مخزوناً وسرًّا مصوناً، فخلق من نوره نور حبيبه ومصطفاه، ليعرف به الخلق جمال الله وجلال الله وكمال الله.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه، خيرته من بريته، ومصطفاه من أنبياءه ورسله، النبي الأمي الذي أعجز بعلمه كل متعلم، لما أظهر من الغيوب، وما نطق به من العلم الموهوب، الذي وهبه له وآتاه إياه علام الغيوب عزَّ وجلَّ.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الصراط المستقيم بين الحق والخلق، والدليل لكل مسلم ومسلمة على الصدق، والآخذ بأيدينا جميعاً

---

[٤٢] كانت هذه الخطبة بمسجد الشيخ على بقرية طوخ الخيل محافظة المنيا يوم الجمعة ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١/٦/١٥م

عند الموت بالرفق، والرافع لواء سعادتنا أجمعين يوم الدين، ولا يتخلى عنا حتى يدخلنا بيده جنات النعيم.

صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه ودخل قلبه حبُّه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين .. آمين، يا رب العالمين ...

أما بعد ...

فيا إخواني ويا أحبابي جماعة المؤمنين:

منَّ الله عزَّ وجلَّ علينا قبل الصلاة فسمعنا شيئاً من ثناء الله ومدحه لحبيبه ومصطفاه؛ مدحه في سورة الأحزاب، ومدحه في سورة الإنشراح، ومدح الله لحبيب الله ومصطفاه لا يبلغ مداه العلماء ولا المفسرون، إلا بما يتفضل به على قلوبهم الله عزَّ وجلَّ من علمه المكنون، ومن غيبه المضنون.

وأريد أن أقف مع نفسي وإخواني عند الآيات التي ختم بها قارئنا تلاوته، وهي أول آيات نزلت على حبيب القلوب، والمقرب الأول إلى حضرة علام الغيوب ﷺ.

كان ﷺ يختلي بنفسه مع ربه في غار حراء، يتحنث لله، ويتعبد لله، ويقبل بالكلية على حضرة الله، حاشا أن نسمع إلى من يقول أنه كان يطهر قلبه ويصفي نفسه!! لأن الله خلقه من الطهر ومن النقاء والصفاء،

فلم يعرف الجفاء سبيلاً إلى نفسه، ولم تعرف الأغيار ولا السوى طريقاً إلى قلبه .. من البدء إلى النهاية .. مع الله وبالله ولله عزَّ وجلَّ .. وقد قال فيه ربي عزَّ شأنه (١٠٨:التوبة):

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾

من أنفسكم يعني: أغلاكم قلباً، وأعزكم روحاً، وأرقاكم نفساً، وأطهركم قلباً وقالباً لله عزَّ وجلَّ.

فهو الطاهر الصفيّ، التقيُّ النقيُّ البهيّ، الجميلُ الوفيّ، لأن الله خلقه من نوره، وصوَّره على جماله وبهائه وكماله، وإنما كان يتعبد لله، ويضرع لله، ويُقبل على الله، لأن الله أعلمه بإشارات قلبية، وتلويحات إلهية، ورموز نورانية، أنه قد آن الأوان لحضرته ليتلقى العطية، ويقوم بالرسالة تشريفاً من الحضرة الربانية، فكان يتعرض لهذا الفضل في كل عام في شهر رمضان.

ولِمَ شهر رمضان؟!! ...

لأن الله أعلمه وبشَّره أنه شهر تنزل القرآن، وشهر اصطفائه للرسالة لجميع بني الإنسان، وتكريمه بنزول المَلَك ليخبره بفضل الواحد الديان عزَّ وجلَّ.

لقاء جبريل المشوق بالحبيب ﷺ

فلما أراد الله عزَّ وجلَّ أن يبلغه مراتب الكمال، وأن يصطفيه لهذا العطاء وهذا النوال، وأن يفتح له كل كنوز الفضل ويخصه بكل الجمال، أَهَّلَه في ليلة نزول القرآن، فنزل عليه أمين الوحي جبريل، وهو للقاء حضرته لهفان، وللنظر في وجهه ظمآن، وقد انتظر هذه اللحظة منذ خلقه الرحمن، فاحتضنه شوقاً إليه وتلهفا إليه، وتعبيراً عن الحب الذي في قلبه إليه، لأن الله قال للملائكة كما قال لنا – وكما قال لكل كائن في ملك الله أو ملكوته (١٠٧:الأنبياء):

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

فالملائكة لها نصيب من رحمته، والجنة لها نصيب من رحمته، والسماوات لها نصيب من رحمته، وكل من في الأرض أو تحت الأرض أو في طباق الأرض أو على ظهر الأرض له نصيب من رحمته، وكل كائن في ملك الله وملكوته لا بد له من نصيب من رحمته، صلوات ربي وسلامه عليه، وإن كنا بفضل الله وباختصاص الله، وبإكرام الله، نلنا والحمد لله أعظم نصيب من رحمة الله من حبيب الله ومصطفاه ﷺ .. فنحن أصحاب النصيب الأعلى، والمقام الأجلى والدرجة الأسمى، من رحمة رسول الله ﷺ.

فاحتضنه الأمين جبريل شوقًا إليه وقال: (اقرأ)، قال: (ما أنا بقارئ)، يعني: أنا لا أفعل شيئاً من نفسي، وإنما أموري كلها بربي عزَّ وجلَّ، فلا أفعل أمراً صغيراً ولا كبيراً من تلقاء نفسي .. وإذا كنتم معشر الملائكة تقولون (٦٤:مريم):

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾

فما بالكم بسيد خلق الله؟!! وخير من خلقه الله واجتباه؟!! .. لا حركة له ولا وجهة له، ولا خطرة له ولا سكنة له، إلا بأمر صريح من الله عزَّ وجلَّ (٤، ٥:النجم):

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾

و (شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ): هو الله وليس مثلما يقول بعض الجهلاء جبريل، لأن جبريل تلميذ نبيل لحضرة السيد الجليل ﷺ، وهل التلميذ يُعَلِم مُدَرِّسَهُ؟ لكن من الذي يعلم رسول الله؟ الله. فلا يتلقى إلا من الله وليس هذا وفقط (٣:النجم):

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾

ليس النطق فقط، ولكن – وما يفعل عن الهوى، وما يتحرك بأي جارحة من جوارحه ولا بأي عضو من أعضائه الظاهرة أو الباطنة عن الهوى، وإنما أمره كله قال فيه له ربه (١٦٢:الأنعام):

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

صلاته لله وعباداته لله وحياته كلها لله، حتى أكله لله وشربه لله ونومه لله، ومداعبته لأزواجه وأولاده وأحبابه لله، حتى كل أموره الظاهرة والتي قد نظن أنها لحاجة في نفسه، إنما هي لله وبأمر الله عزَّ وجلَّ. قال: (ما أنا بقارئ)، فقال له:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (١:العلق)

ماذا يقرأ؟

ماذا يقرأ؟ وما الذي كان مع جبريل ليقرأه؟ هل كان معه كتاب أو سطر أو صفحة؟ لا، لم يكن معه شيء، لكن هذا كان إذن ممن يقول للشيء كن فيكون للحبيب المجتبى المصطفى، بأن يقرأ من علم الله المكنون، ومن غيب الله المضنون، ما كان وما هو كائن وما سيكون، إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، بتعليم من الواحد القهار عزَّ وجلَّ.

إذاً قراءة الحبيب ليست كقراءة بعضنا، لكن هذه قراءة إلهية في الأسرار الربانية والعلوم الإلهامية والألواح الغيبية، قرأ فيها كل شيء.

وقد عبَّر عن هذه الحقيقة صلوات ربي وسلامه عليه عندما كان قاب قوسين أو أدنى فقال: (فنزل على لساني قطرة أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأبرد من الثلج، ووضع الجبار يده على ظهري حتى وجدت برد أنامله في صدري، فعلَّمني علم كل شيء، وأعطاني ثلاثة علوم: علم أمرني بتبليغه، وعلم خيَّرني فيه، وعلم أمرني بكتمه).

فأما الذي أمره بتبليغه فعلم الشريعة المطهرة، لأن كل مسلم ومسلمة لابد أن يعلم الحلال والحرام، وما يحبه الله وما لا يرضاه الله، وما به ينال الجنة وما به ينال اللوم والعقاب من الله يوم الدين، فلابد أن يعلم الشريعة لجميع المسلمين.

وأما العلم الذي خيَّره فيه فعلم الحكمة، لأنه خصوصية لمن طهر قلبه، وزكى نفسه، وكان طالباً لرضاء الله، وغير طالب لجنة الله فقط، فطالب الجنة يكفيه علم الشريعة، وطالب الله لابد له من علم الحكمة مع علم الشريعة (٢٦٩:البقرة):

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾

ولذلك قال ﷺ، لمن خَلَّفَهم وورثَّهم وأمرهم بتبليغ الحكمة: (لا تمنعوا الحكمة عن أهلها فتظلموهم ولا تؤتوها غير أهلها فتظلموها[٤٣]، وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء)[٤٤].

أما العلم الذي أمره الله بكتمه ولم يكشف منه إلا شذرات وومضات وضحت لنا الطريق إلى يوم الدين، وعلمتنا ما سيدور يوم يجمع الله الأولين والآخرين، فعلم الأقدار، وعلم الغيوب التي اختص بها الله نبيَّه الحبيب المحبوب، وقال له فيها (١١٣:النساء):

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

هذه قراءة رسول الله، (اقرأ) ما هو مكتوب على أبواب، وعلى قصور الجنان، ولذلك كنا نسمعه يقول: (وجدت على باب الجنة

---

[٤٣] الأمثال لابن سلام وتفسير الطبري لقوله تعالى (قوله تعالى: ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)، وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ: (حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)

[٤٤] الإحياء من كلام عيسى عليه السلام – كتاب العلم – الباب الثالث.

مكتوباً: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[٤٥] ... ويقول مرة أخرى مما قرأه على أبواب الجنة: (وجدت على باب الجنة مكتوبا الحسنة بعشر أمثالها والقرض بثماني عشرة حسنة، فقلت يا أخي يا جبريل، لِمَ كانت الصدقة بعشر وكان القرض بثماني عشرة؟ قال: لأن الصدقة قد تقع في يد الفقير وفي يد الغني، ولكن القرض لا يطلبه إلا ذو الحاجة)[٤٦] ... ولذا جعل الله أجره مضاعفاً على أجر الصدقة.

يقرأ ما في الجنة، ويقرأ ما في لوائح البوار في أهل النار، ويقرأ ما في النفوس، ويقرأ ما في الصدور، ويقرأ كل ما سيكون إلى يوم البعث والنشور، فما من شيء حدث لنا أو حدث بيننا أو سيحدث لمن بعدنا إلا وأنبأ عنه، ووضَّحه بأجلى بيان ... تعليماً من حضرة الرحمن عزَّ وجلَّ لخير نبيٍّ ﷺ ... قال ﷺ: (إنما أنا رحمة مهداة).[٤٧] وقال ﷺ: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له).[٤٨] ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

---

٤٥ رواه مسلم وأحمد والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ.
٤٦ ابن ماجة عن أنس ﷺ
٤٧ رواه البيهقي في سننه والطبراني وابن ماجة عن ابن مسعود.
٤٨ رواه الدارمي في سننه عن أبي صالح.

الحمد لله رب العالمين، العلي الكبير الذي اختار لنا خير نذير وخير بشير ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الفضل وبيده الخير وهو على كل شيء قدير ... وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه الذي اختصنا الله به بين العالمين فجعله نبينا وجعلنا أمته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وأكرمنا جميعا بحسن اتباع شريعته، والعمل الدائم المستمر على سنته، حتى نجتمع سويا على حوض حضرته، ونشرب منه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا، ونكون معه أجمعين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلِّ وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم، واجعل يا ربنا صلاتنا عليه مدداً دائماً لا ينقطع، واصلاً منه إلينا، حتى نكون معه في جنة النعيم، ونحظى معه بالتكريم يا كريم.

عباد الله جماعة المؤمنين.

اعلموا علم اليقين أن الله عزَّ وجلَّ أكرمنا وعظمنا وبجلنا حينما جعلنا من أمة الرحمة المهداة ونسبنا إلى حبيبه ومصطفاه، وهذا شرف طلبه أنبياء الله ورسل الله!! فكان يقول سيدنا موسى يارب: (النبي الذي يأتي من بعدي خير خلقك مُحَمَّد وددت لو أنك جمعت بيني وبينه). فيقول الله تعالى: يا موسى، إنك تقدمت واستأخر. فيقول: يا رب اجعلني من أمته)، فوعده الله عزَّ وجلَّ أن يكون من أمته، فأوقفه للحبيب يوم قاب

قوسين أو أدنى ليكون منجداً لحضرته، ومعززا لشريعته، ورحيماً بأمته ليحظى بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

وسيدنا عيسى كان يقول لحواريه: (النبي الذي يأتي من بعدي اسمه أحمد أتمنى أن أحمل حذاءه).

اللهم أكرمنا في الدنيا والآخرة بحب حبيبك ومصطفاك، واملأ جوارحنا بحبه، واجعل أفئدتنا هائمة في مقام وده وقربه، واكشف عنا كل حجاب حتى نراه ظاهراً متلألئاً بغير نقاب، واجعلنا ممن يحظى في الدنيا بزيارته، وفي الآخرة بشفاعته، ويحظى في الدنيا والآخرة برحمته – نحن وأولادنا وبناتنا ونساءنا وإخواننا المسلمين أجمعين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعاء يا رب العالمين.

اللهم بجاه نبيك المأمون، وبسره عندك المصون، اكشف عنا وعن المسلمين أجمعين كل ضراء، واكشف عنا وعنهم كل عناء ووباء وبلاء، واشفنا أجمعين من الأمراض الأسقام، ويسر لنا الخير العام، وأنزل لنا البركة في الزروع والضروع والأقوات والأولاد والأجسام، حتى نشكرك في كل وقت وآن .. يا غفور يا شكور.

اللهم أصلح حكامنا وحكام المسلمين أجمعين، ببركة النبي الأمين، ووفقهم للعمل بكتابك وسنة حبيبك ... يا رب العالمين.

اللهم انصر إخواننا المسلمين في فلسطين، وقوهم بقوتك، وأيدهم بنصرك في كل وقت وحين، وأنزل على اليهود ساحقة ماحقة من عندك، لا تبقي ولا تذر عليهم أجمعين.

اللهم أرحنا وأرح العالم كله من شرورهم، وخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفرحنا أجمعين بتطهير بيت المقدس وتحرير أرض فلسطين.

عبـــــاد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم وأقم الصلاة.

الفصل الثامن

بشرى النبي بالفضل لأمته

- معاملة الله للمؤمنين بالفضل
- شهادة النبي لأمته

بشرى النبي بالفضل لأمته[٤٩]

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، وملك يوم الدنيا وملك الأولين والآخرين، القوي في عظموت ذاته، المنزه في كبريائه وأسمائِه وصفاته، العلي في استواءه على جميع نعوت كلماته أو واسطة جهاته.

سبحانه .. سبحانه، واسع المغفرة، عظيم العفو، كثير الغفران، يسامحنا على اللهو والعصيان، ولا يحاسبنا على ذلك عند تنزل الخير في كل وقت وآن، فإننا نعصاه فيمهلنا، ونخالف أمره فيرزقنا، وإذا غفلنا عنه حيناً من الدهر ثم رجعنا إليه وناديناه أسرع بإجابتنا ... فسبحانه من إلهٍ كريم، جوادٍ لطيف، ورءوفٍ ورحيم بنا معشر المؤمنين أجمعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عفوٌ كريمٌ يحب العفو عن عباده المؤمنين، ويسعى باللطف بأوليائه المسلمين، وينصب لهم في الدنيا ميزان جوده وكرمه، وفي الآخرة يوقفهم في ميدان فضله وعفوه، ويقول لنا أجمعين: (يا عبادي استغفروني أغفر لكم).

---

٤٩ كانت هذه الخطبة بالمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد محافظة بورسعيد يوم الجمعة ١٣ من جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١/٨/٣ بمناسبة الاحتفال بذكرى الشيخ مُحَمَّد على سلامة ﷺ.

فعجباً من ربٍّ عظيم!! يطلب من عبيده المقصرين أمثالنا أن يستغفروه ليتفضل عليهم بالعفو والغفران، ويقول لنا أجمعين في صريح القرآن وبنص كلمات حضرة الرحمن (٢٢٢:البقرة):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

لم يقل (يحب التائبين)!!، لأنه لو قال (يحب التائبين) كانت التوبة لمرة واحدة ولا سماح بعدها، أما قوله عزَّ شأنه: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ .. يحب التوابين بصيغة المبالغة أي الذين كلما أذنبوا تابوا واستغفروا، وكلما أخطأوا رجعوا إليه واعتذروا، وكلما أحسوا بوقع الذنب رجعوا إليه نادمين تائبين فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم عزَّ وجلَّ.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه، إمام الأتقياء ونبي السعداء، والذي أكرمنا الله به في الدنيا، ووعدنا بإكرامنا به يوم الجزاء.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، واجزه عنا خير الجزاء، واجعله إماماً لنا في الدنيا وشفيعاً لنا يوم العرض واللقاء، واجمعنا أجمعين على حوضه، واسقنا بيمينه الشريفة شربة يدوم لنا بها الهناء، وننال بها الهدى والفتح والضياء، ونكون من أهل المقام العالي في الجنة الفيحاء، نحن وإخواننا المسلمين أجمعين.

أما بعد .....

فيا عباد الله جماعة المؤمنين ...

استمعت معكم قبل الصلاة إلى بشرى عظيمة ساقها إلينا الله، في خير كلام أنزله الله إلى خلق الله، هذه البشرى عندما استمعت إليها اليوم وأفاض الله عزَّ وجلَّ عليَّ قطرة من معانيها في قلم القدرة الإلهية، وفي أسرار العناية اللوحية الربانية، فرحت فرحة عمت مني كل الأرجاء، فأحببت أن أشرك إخواني معي في هذه الفرحة.

إن الله عزَّ وجلَّ يبشرنا أجمعين، والمسلمين الأولين والآخرين، والسابقين والمعاصرين، واللاحقين من أتباع إمام النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله عزَّ شأنه وتبارك اسمه ولا إله غيره:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ (٤٥، ٤٧:الأحزاب)

أمره الله أن يُبشر المؤمنين بأن لهم – والله لم يقل جزاءً لأعمالهم، ولا ثواباً لصالحاتهم، ولا عفواً عن ذنوبهم، ولا أجراً كريماً على أعمالهم وطاعاتهم، لأن هذا أمر فرغ الله منه، وأمر انتهى الله منه وقال فيه جلَّ شانه (٦٠:الرحمن):

﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾

هل يجزي الرحمن لمن عمل صالحاً إلا أجراً عظيماً فوق ما يطمع فيه، ويزيد عما يأمله في خالقه وباريه؟!! لأنه الكريم الذي كرمه لا يحدّ، والعظيم الذي نعيمه عزَّ وجلَّ لا يعدّ. إن الذي يجزي بأجر مقدر وبثواب مقدر هو صاحب الخزائن التي تنفد، أو صاحب الميزانية المحدودة والتي لها آماد وأوقات غير ممدودة،

لكن الكريم الذي كرمه لا يحدّ، وعطاؤه لا يعدّ، ولا منتهى لعطائه في الدنيا، بل إلى أمد الأمد، وعدنا بأنه يجزي بالإحسان إحساناً، وأما السوء والمعاصي فقد وعدنا أهل هذه الأمة بأن يكشف عنا كل غمة، قال لنا في كتابه عزَّ شأنه – لأننا الأمة المرحومة التي يعاملها بفضله ورحمته ولا يعامل أهلها بعدله وقدرته.

معاملة الله للمؤمنين بالفضل

فلو عاملنا بعدله وقدرته على أرجى عمل عملناه، وأكثر صالحات قدمناها لله لهلكنا جميعاً، لأن أعمالنا لا نستطيع أن نصمد بها أمام ميزان الإخلاص، أو أمام ميزان الصدق، أو أمام ميزان الكرم الإلهي، فلو حاسبنا على نعمة واحدة قدمها إلينا بكل ما قدمنا إليه من أعمالنا ما وفَّينا بنعمة واحدة من نعم الله عزَّ وجلَّ علينا أو لنا، ولكنه شملنا بعطفه، ووعدنا بمزيد جوده وكرمه، فقال فينا معشر المسلمين الذين كلما كلما

أذنبوا تابوا وحفظوا أنفسهم من المعاصي والكبائر التي لا يرجو الله من المؤمنين أن يقتربوا منها، وعدنا فقال عز شأنه:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ (١٦:الأحقاف)

وعدنا أن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يعفو عن ذنوبنا وهفواتنا، وأن يتقبل عنا صالح أعمالنا وأفضل طاعاتنا وأخشع صلاتنا وركوعنا وسجودنا لله .. وهذا وعد من الله وهو عزَّ شأنه لا يخلف الميعاد، يخلف الوعيد ولكنه لا يخلف الميعاد، فإذا توعد وهدد قد يتجاوز عن وعيده ويمتنع عن تنفيذ قهره بعبيده، لأنه رب غفور رحيم كريم، ولكنه إذا وعد نفذ ولا يخلف وعداً ولو صغيراً لأنه عزَّ وجلَّ وعد بذلك المؤمنين، وسجل ذلك في كتابه الكريم. فأمر الجزاء، وأمر الوفاء، وأمر المكافأة ضمنه خير الأكرمين وأجود الأجودين عزَّ وجلَّ. وأمر العفو وعدنا به الله وضمنه لنا في كتاب الله، ولكنه زادنا اليوم ببشرى من الله أمر حبيبه ومصطفاه أن يبشرنا بها فقال له عزَّ شأنه (٤٧:الأحزاب):

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾

ليس أجرًا ولا ثواباً، وإنما فضلاً يتفضل به المتفضل علينا، لا بعمل عملناه، ولا بصالح قدمناه، ولكنها عناية من الله لهذه الأمة التي اختارها أمة لحبيبه ومصطفاه ﷺ.

ومن جملة هذا الفضل الكبير أنه أشهد على الأمم السابقة الكرام الكاتبين والأرض والأنبياء والمرسلين، وأشهد عليهم منا العلماء العاملين، وأشهد على الجميع سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم.

شهادة النبي لأمته

أما نحن معشر المؤمنين الذين آمنوا بخير النبيين، فجعله شاهداً لنا (٤٧:الأحزاب):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾

من الذي يشهد لنا أو علينا؟ .. رسول الله ﷺ، ما صفة هذا الشاهد؟. وما حقيقته عند ربه؟. قال لنا أجمعين افرحوا وأبشروا واستبشروا (١٢٨:التوبة):

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾

هذه الآيات تحتاج إلى كل أقلام الأرض وبحارها مداداً حتى تبين ما فيها من بشريات لنا لسيد السادات ﷺ. فجعل هذا الرسول من أنفسنا ولم يجعله من جنس آخر، فإن الملائكة من جنس آخر غير جنسنا، لم يركب الله فيه شهوة، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون ولا ينامون، فربما لنا لا يعذرون، ولكنه صلى الله عليه وسلم وقد كان بشراً مثلنا، ومرت عليه أهوالنا، فإنه يعتذر لنا ويقدم لنا العذر في كل أحوالنا لحضرة ربنا عزَّ وجلَّ.

﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، غير راض بما وجدنا فيه من عنت ومشقة، فإن لنا نفوساً أمارة تطلب منا مخالفة أمر الله، وتستبيح لنا معاصي الله، وتوقعنا فيما لا يرضي عنا حضرة الله، فقدم لنا هذا العذر عن الله حتى يطلب العفو لنا أجمعين يوم لقياه، ولذلك قال لنا الله عزَّ شأنه (٦٤:النساء):

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾

ماذا يفعلوا؟

﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾

وأكتفي بهذا القدر خوفاً من الإطالة، وأكمل الدرس عقب الصلاة لمن عنده وقت. قال ﷺ: (التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له).

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ألذي أولانا بنعمائه، وفضلنا على كثير من خلقه في أرضه وسمائه، وجمل قلوبنا بنور تقواه والإيمان به وجعلنا في الدنيا من أوليائه، ونسأله عزَّ وجلَ أن يحفظ لنا نور الإيمان، ويقيم جوارحنا في طاعته، حتى يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهٌ برٌّ تواب، يحب العبد السريع إلى حضرته في الرجوع والمآب، ويعده بغفران ذنبه في الدنيا، وأن يلقاه بالإتحاف والإنعام والسرور في يوم الحساب.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه النبي الأواب، الذي وعده الله بأن يلبي له كل دعاء، وأن لا يخيب له رجاء، وأن لا يخزيه وأمته يوم العرض والجزاء، فقال لهم ولنا أجمعين (٨:التحريم):

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ ﴾

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد إمام الرسل والأنبياء، وحامل لواء الحمد الذي نحتمي به جميعاً يوم العرض والجزاء.

صلَّى الله عليه وعلى آله الأمناء، وصحابته الأتقياء، وكل من تابع هديه إلى يوم الجزاء. (أما بعد)

فيا عباد الله جماعة المؤمنين.

أمرنا الله عزَّ جلَّ أن نعرف البشائر التي طلب من حبيبنا أن يبشرنا بها لنفرح بفضل الله، ونفرح بكرم الله، ونفرح بمزيد عطاء الله، الذي خصنا به دون جميع خلقه، وقال لنا أجمعين (٥٨:يونس):

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

اللهم فرحنا بفضلك ورحمتك في الدنيا ويوم الحساب.

اللهم أعلِ عندك مقامنا، وتجاوز عن جميع ذنوبنا وسيئاتنا، ما علمنا منها وما لم نعلم، واغفر اللهم لأولادنا وبناتنا وزوجاتنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات، يا ربَّ العالمين.

اللهم تفضل علينا بعفوك ورضوانك، بعد صفحك وغفرانك، فاجعل لنا مكان كل ذنب حسنة، واجعلنا من الذين تقول في شأنهم (٧٠:الفرقان):

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل هالكاً وزاهقاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم حبب إلينا عمل الطاعات، واستباق الخيرات، وفعل النوافل والصالحات، يا أرحم الراحمين.

اللهم انزع الغلَّ والغش والحقد من نفوس المسلمين أجمعين، وازرع في قلوبهم المودة والمحبة لأنفسهم ولإخوانهم أجمعين.

اللهم وفق ولاة أمورنا وحكام المسلمين أجمعين لما تحبه وترضاه، وأقم بهم شرعك، وأصلح بهم الدنيا ودينك وكتابك .. يا الله.

اللهم أهلك الكافرين بالكافرين، وأوقع اليهود والظالمين في الظالمين، وأخرج المسلمين وإخواننا في فلسطين من بينهم سالمين غانمين.

اللهم أنزل علينا خيرك وبرَّك، واكسنا جميعًا بالصحة والعافية، واجعل لنا من عندك رزقاً مباركاً طيباً يا خير الرازقين.

عباد الله اتقوا الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠:النحل)

وأقم الصلاة.

******** ٨ **********

الفصل التاسع

فضل الله على الأمة المحمدية

- إغضاء رسول الله عن هفوات أمته
- طريق المغفرة
- شهادة المؤمنين لبعضهم

فضل الله على الأمة المحمدية[٥٠]

من فضل الله عزَّ وجلَّ على هذه الأمة المحمدية، والذي أمرنا الله عزَّ وجلَّ أن نعرفه، ولا نعرفه إلا من رسول الله ﷺ – لأنه هو الذي يبشِّر عن الله – أن نعرف أن الله عزَّ وجلَّ اختصنا بالفضل، والفضل هو الذي نسميه الهدية، فالأجر يكون مقابل عمل أنا عملته، لكن الهدية لماذا؟ تكريماً لي، أو تكريمٌ لأبي فيَّ. فلو أعطى رجل ابني هدية فإنه لا يكرم ابني لذاته، ولكنه يكرمني أنا في عطائه لابني.

ربنا عزَّ وجلَّ يكرم هذه الأمة ببركة كاشف الغمَّة ﷺ، وليس من أجل أننا نستحق العطاء، ولكن لأننا نحن أمته ﷺ، فيقول له: يا ربِّ لِمَ جَعَلْتَ أمتي آخر الأمم؟ قال: حتى يطلعوا على مساوئ الأمم ولا يطلع على مساوئهم أحد غيري. نحن عرفنا كل ما عملته الأمم السابقة جميعاً؛ أمة آدم وقابيل وهابيل، أمة نوح، أمة لوط، كل هؤلاء عرفناهم، ومن الذي يعرف ما عملناه؟. لا أحد يعرف إلا الله عزَّ وجلَّ، (حتى يطلعوا على

---

[٥٠] درس بعد صلاة الجمعة في المسجد الكبير ببورفؤاد يوم الجمعة ١٣ من جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١/٨/٣

مساوئ الأمم ولا يطلع على مساوئهم أحد غيري، وحتى لا يطول مكثهم في القبور) .. يكون القبر لهم لمحة أو أقل.

ولذلك قال ﷺ، في حديثه الطويل: (إذا دخل العبد المؤمن القبر فأول ما يدخل يرسل له الله رفيقاً يقول له: السلام عليك يا فلان – وهذا الرجل شديد بياض الوجه، شديد بياض الثياب، له رائحة طيبة، وعندما يلقي عليه السلام يقول له: من أنت؟ .. ومن الذي أرسلك إليَّ؟ .. فيقول: أو ما تعرفني؟! .. أنا عملك الصالح ، وأنا معك هنا إلى يوم القيامة)[٥١].

ثم يرسل الله له الملائكة، ملائكة سؤال القبر .. هؤلاء الملائكة يسألون السابقين بطريقة ويسألوننا نحن بطريقة ثانية. يسألون السابقين بطريقة فيها تعنيف وفيها توبيخ، لكن نحن يسألوننا بطريقة فيها تشريف .. لوصية النبي الحنيف صلى الله عليه وسلم، فقد حضر رجلا يحتضر من إخوانه فقال له: يا ملك الموت ارفق به فإنه مؤمن – وأمره مطاع (٦٤:النساء):

٥١ رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم والبيهقي عن البراء ﷺ..

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾

فالكل لابد أن يطيعه، قال ﷺ: (كل شيء في السماوات أو في الأرض يشهد أني رسول الله إلا عصاة الجن والإنس)[٥٢]. هؤلاء فقط هم الذين لا يشهدون لي بالنبوة والرسالة ... فقال له: (أرفق به فإنه مؤمن، فقال: يا رسول الله، أبشر، فإني بكل مؤمن شفوق ورءوف)[٥٣]. أي: كل مؤمن يكون على هذه الشاكلة!! ... بعد ما يسألوه، فيقولون ماذا بعد ذلك يا رسول الله؟ قال: (فيربتون على كتفه ويقولون له: نَمْ كالعروس في ليلة عرسها، لا يوقظها إلاَّ أَحَبَّ أهلها إليها) ... إذاً يقوم يوم القيامة مثل من ينام في ليلة الدخلة .. يعني: لحظات، هذا بالنسبة لهذه الأمة. إذاً لا يطول مكثنا في القبور، وتمر علينا هذه الساعات والأزمان والأوقات كطرفة عين أو أقل!! ... حتى يوم القيامة!! ما مقداره؟ (٤: المعارج):

﴿ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾

---

[٥٢] رواه أحمد والدارمي عن جابر ﷺ

[٥٣] الطبراني عن الحارث بن الخزرج عن أبيه.

طوله مثل طول خمسين ألف سنة، ونحن يا رسول الله ماذا نفعل في هذه الخمسين ألف سنة؟ قال: أنتم ليس لكم شأن بهذا الأمر – خذوا بالكم من هذه البشريات العظيمة، والفضل الكبير!!!: (يمر يوم القيامة على المؤمنين كصلاة ركعتين خفيفتين)[٥٤]. مثل الذي يصلي ركعتين خفيفتين، لا يطيل فيهما، لماذا؟ لأن هذه بشريات الله والفضل الكبير الذي وعدنا به الله على لسان حبيبه ومصطفاه ﷺ.

من الذي يشهد لنا يا إخواني؟ هل ينفع واحد نعمل له قضية يشهد له ابنه أو أبوه أو أخوه أو أحد من عائلته؟. لا .. لكن الله كسر هذه القاعدة، قال هذه القاعدة على الأمم السابقة فقط، هم لا يشهدون على بعضهم الذي يشهد عليها إما الأنبياء والمرسلون الذين أرسلوا فيهم، وإما العدول من أمتنا من العلماء العاملين والأولياء والصالحين، وفوق كل هؤلاء سيد الأولين والآخرين ﷺ. لكن نحن .. قال لنا الذي يشهد عليكم رسول الله ﷺ.

---

[٥٤] روى الامام أحمد في المسند، وابن حبان في صحيحه، وغيرهما، من حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَوْمًا كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا).

إغضاء رسول الله عن هفوات أمته

ورسول الله ﷺ، كما وصف وكما قيل في حقه: (كان أشد حياءً من العذراء في خدرها)[٥٥] ... أي: من البكر خلف الستار، بلغ به الحياء إلى درجة أنه كان لا يثبت بصره في بصر أحد قط. عندما يتكلم شخص مع آخر ينظرون في أعين بعض .. فسيدنا رسول الله من شدة حياءه كان لا يثبت بصره في عين أحد. هل يطلع على أحد وهو يفعل الذنب؟. لا ... يتغاضى عن هذه الذنوب، ولا ينظر إلى هذه العيوب، لأنه حبيب ومحبوب ومقرب إلى حضرة علام الغيوب ﷺ.

فعندما يقول: (تعرض عليَّ أعمالكم كل ليلة)[٥٦]. ليشهد لا بد أن يرى أعمالنا فماذا يرى؟ .. يرى الصالحات والنوافل والقربات ويغض طرفه عن المعاصي والذنوب والسيئات، لأن سيمته الحياء ﷺ. وعندما يشهد لنا عند الله يكون مثلما أعطاه الله عزَّ وجلَّ وأمره: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾. والذي لم يلحق هنا يذهب إليه هناك، والذي لم يلحق هناك يذهب إليه في الموقف العظيم.

---

٥٥ رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجة عن أبي سعيد. ﷺ

٥٦ رواه ابن سعد عن بكر بن عبد الله.

يعني لا بد يذهب إليه. فالذي ينهض إليه هنا يا هناه ... والذي لم ينهض هنا يذهب له هناك ... والذي لم ينهض هناك يذهب له في الموقف العظيم .. ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾، ولابد للطلب أن يكون عليه تأشيرة رسول الله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، ماذا يجدوا؟! ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (٦٤:النساء).

أي الذي يفعل ذلك يجد المغفرة. أما الذي يقول: أنا مني لله مباشرة نقول له: تعال ننظر إلى صحيح المنقول، سيدنا أبو لبابة الأنصاري ﷺ، لما خان بنو قريظة رسول الله في غزوة الأحزاب، وتحالفوا مع الأعداء؛ مع قريش ومن معهم من قبائل العرب، وخانوا الرسول في هذه الغزوة، وكانوا عاهدوه أن يقفوا معه – جمع أصحابه، وقال لهم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة)[٥٧].

وعرفنا أن الأمر هنا على السعة، لأن منهم من فسرها وقال: أنا أصلي العصر هنا وأذهب إلى بني قريظة، ومنهم من قال: أذهب إلى

٥٧ رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

هناك أولاً ثم أصلى العصر، واختلفوا مع بعضهم وذهبوا إليه فقال لهم: هذا صحيح وهذا صحيح .. لماذا تختلفون؟. طالما الأمر على السعة، ولم يكن فيه تحديد .. فلماذا تحددوه؟!! وأقر هؤلاء وأقر هؤلاء، حتى يعرفنا أن دين الله بحره واسع، فلا يجب لرجل أن يفسر دين الله على هواه، وإذا كان معه تصريح من حضرة الله يطلعنا عليه، أما إذا كان ليس معه تصريح فمن اجتهد فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران – بشرط الاجتهاد مع نص.

فاليهود كان صديقهم سيدنا أبو لبابة – قبل إسلامه – فقالوا له: ما رأيك ؟ ما نية رسول الله؟ فخاف أن يتكلم لأنه لو تكلم يفشي سر رسول الله وهذه خيانة عظمى، فأشار بأصبعه على رقبته، يعني سوف يذبحكم، وبمجرد أن أشار بأصبعه شعر أنه خان رسول الله، وقال أنا خنت رسول الله، فذهب إلى مسجد رسول الله وربط نفسه في عمود وجلس يتوب إلى الله ويرجع إلى الله.

وعندما سأل عنه رسول الله أين أبو لبابة؟. قالوا له حدث كذا وكذا وربط نفسه في المسجد، فقال ﷺ: (ولِمَ لَمْ يأت إليَّ فأستغفر له الله عزَّ

وجلَّ فيغفر له الله)[٥٨]، ما الذي جعله يفعل ذلك الأمر، فهذا أمر صريح أعطاه له الله عزَّ وجلَّ أن يستغفر لنا، فقالوا له: هل نفك رباطه يا رسول الله؟. قال: لا، طالما اختار هذا الطريق حتى يأذن فيه الله عزَّ وجلَّ.

طريق المغفرة

فالطريق المختصر للمغفرة هو طريق رسول الله ﷺ الذي هو من أخطأ في الوجود تاب به عليه الرب المعبود. مَنْ أول من وقع في الخطيئة يا إخواني؟. آدم عليه السلام، ونزل من الجنة .. كيف تاب عليه الله؟ سيدنا عمر يروي عن رسول الله الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الحاكم في المستدرك ورواه الإمام ابن خزيمة والإمام الترمذي والإمام أبو داود ﷺ أجمعين قال:

(لما وقع آدم في الخطيئة قال: يارب، بحق مُحَمَّد إلا غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم، كيف عرفت مُحَمَّداً ولما يأتي بعد؟. قال: يارب، ما نظرت إلى شيء في الجنة إلا وجدت اسمه بجوار اسمك – أشهد أن لا إله

٥٨

إلا الله بجوارها وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدا رسول الله – فعلمت أنه أعز الخلق عندك. قال: صدقت يا آدم، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك).

فهذا أول ذنب وأول توبة .. وهذا النموذج الذي اعتمده حضرة التواب عزَّ وجلَّ. والحبيب ﷺ قال: الذي له طلب عند الله ويريد أن يقضي هذا الطلب في الحال يضع كارت على الطلب ليستجيب الله على الفور: (إذا دعوتم الله فابدأوا بالحمد، ثم ثنوا بالصلاة عليَّ، واذكروا حاجاتكم – هذا نموذج الطلب – واختموا بالصلاة عليَّ، فإن الله يقبل الصلاة عليَّ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما). قال في هذا المعنى سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه:

وأنت باب الله أي امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

أنت الذي معك الطريق، هل أحد يدخل الحضرة من غير مدير المكتب!! مع التعظيم والتنزيه لذي الجلال والإكرام عزَّ وجلَّ، لكنه هو الذي أعطاه التفويض، وقال له: الذي يريد أن يتوب بأتي إليك أنت والذي تؤشر على طلبه قبلته وغفرت له، لأنه جاء من الباب الصحيح لحضرة التواب؛ رسول الملك الوهاب سيدنا مُحَمَّد ﷺ.

شهادة المؤمنين لبعضهم

فعرفنا أنه شاهد علينا صلى الله عليه وسلم، وهو شاهد كريم، ومن كرمه وجوده ﷺ قال انتهزوا هذه الفرصة وهذا المنصب الذي أعطاه لي، ماذا نعمل يا رسول الله؟. قال: أنا أفوضكم أن تشهدوا لبعضكم، والله يقبل شهادتكم لبعضكم، والذي تشهدون له يقبله الله!!

فقد كان جالساً مع أصحابه ومرت جنازة فقالوا: كان رجلاً مؤمناً، فقال ﷺ: وجبت، ومرت جنازة ثانية فقالوا: كان رجلاً طالحاً، فقال ﷺ: وجبت. فسألوه: ما الذي وجب يا رسول الله؟ قال: (الأول شهدتم له بالصلاح فوجبت له الجنة، والآخر شهدتم عليه بالفسق فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض)[٥٩] ... هذا الحديث في البخاري ومسلم.

قالوا: وماذا نفعل؟ قال: اشهدوا لبعض، فقالوا له: اعطنا المقياس الذي نشهد به على بعضنا، قال: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد

٥٩ رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن أنس ﷺ.

فاشهدوا له بالإيمان). وفي رواية: (فاشهدوا له بالصلاح). قولوا كان صالحاً. ووجد في عصرنا هذا جماعة لا يعرفون شيئاً في الدين!! ويقولون لم هذه الشهادة؟!! لا تشهدوا لبعض لأنه لم يرد بها نص!! .. مع أن الحديث صحيح: (إذا رأيتم الرجل يعتاد – يعني مواظب على الجمعة والجماعات في المسجد – فاشهدوا له بالإيمان)[٦٠].

وآباؤنا الأميون كانوا فطنين!! فعندما كانوا يصلون على رجل ميت صلاة الجنازة، كانوا يقولون ما تشهدوا له؟. فيقولون: كان صالحاً. لأنهم يعلمون بأن هذه الشهادة تنفعه. أما نحن فنقول لا تشهدوا. لماذا؟. عن النبي هو الذي قال ذلك، وأعطانا الأساس ولم يعيننا مخبرين على بعضنا، ولا قال انظروا إلى الملفات، أو اطلعوا على العورات، (ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً). بل طالما تراه يذهب إلى المسجد ويحافظ على فرض الله، تقول: كان مؤمناً صالحاً، كان تقياً .. وإذا شهدنا ماذا تفعل هذه الشهادة؟!! قال ﷺ: (من شهد له أربعون من أمتي وجبت له الجنة)[٦١]. ... ربما كان ملفه مملوءً بالجرائم والجنح والكبائر،

---

٦٠ رواه الترمذي والدارامي وابن خزيمه وابن حبان عن أبي سعيد.

٦١ وعن أَبِي الأَسْوَدِ قَالَ: قَدِمْتُ المدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ، فَمَرَّتْ بِهِمْ جنَازةٌ، فأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِها خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ:

وكذا وكذا. إذا كان يوم القيامة يسأل الله المؤمنين فيقول: كيف شهدتم لعبدي؟. فيقولون: أنت يارب الذي قلت لنا (٨١:يوسف).:

﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾

نحن شهدنا بالنص الذي قاله حضرة النبي، فيقول رب العزة عزَّ وجلَّ: (قبلت شهادة عبادي في عبدى وتجاوزت عن علمى فيه، أدخلوا عبدي الجنة)[٦٢] ...

فيدخل الجنة بشهادتنا له، نحن الذين نشهد له من أجل أن يدخل الجنة .. يعني وصل الأمر أنها ليست شهادة رسول الله فقط، ولكن شهادتنا لبعضنا تدخلنا الجنة بأمر رسول الله وتفويضه الذي أعطاه له الله، فكيف عندما تقرأ التفويض العظيم الذي قال له فيه (٥:الضحى):

وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرى، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِها خَيرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَة، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَال عُمَرُ: وَجَبَتْ، قَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَميرَ المُؤمِنينَ؟ قَالَ: قُلتُ كما قَالَ النَّبيُّ ﷺ :أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لهُ أَربعةٌ بِخَيرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجنَّةَ، فَقُلنَا: وثَلاثَةٌ؟ قَالَ :وثَلاثَةٌ، فقلنا: واثنانِ؟ قال :واثنانِ، ثُمَّ لم نَسْأَلْهُ عَن الواحِدِ. رواه البخاري.

[٦٢] المنذري في الترغيب والترهيب عن عامر بن ربيعة ﷺ

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾

لم يقل لقد أعطاك الله، فنظن أن العطاء هنا القرآن أو تعاليم الدين، لأن هذه أعطاها له من قبل، لكنه سوف يعطيه في المستقبل إلى يوم القيامة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾. إلى متى؟. إلى أن ترضى .. حتى لم (ترضى)، ولكن ﴿فَتَرْضَىٰ﴾، فوراً لابد أن ترضى.

إذاً فالله حريص أن يرضيه .. قال في هذا المقام سيدي الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: (لن يرضى ﷺ، وواحد من أمته في النار). أي: لا يرتاح إلا إذا أخرج له قرار عفو يدخله به الجنة بأمر ممن يقول للشيء كن فيكون.

يا بختنا برسول الله ... ويا هنانا بنبي الله ﷺ ... ولا أريد أن أطيل عليكم في هذا المجال لأن هذا المجال واسع.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم

********** ٩ **********

السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ/ فوزى مُحَمَّد أبوزيد

- نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

- النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

- دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.
- هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

قائمة المؤلفات فضيلة الشيخ/ فوزى مُحَمَّد أبوزيد

أولاً : فى تفسير القرآن الكريم (٥)

(٤) نفحات من نور القرآن (ج١)، (١٧) نفحات من نور القرآن (ج٢)، (٤٨) أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (٢ط)، (٩١) الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ، (٩٣) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام، (٩٦) تفسير آيات المقربين (جزء ١).

ثانياً: الفقه (٧)

(٢) زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، ،(٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم (٢ط) (ترجم إنجليزى وإندونيسى*) (٥٢) كيف تكون داعياً على بصيرة (٥٤) مختصر زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، (٧١) الصيام شريعة وحقيقة (٧٢) إكرام الله للأموات (٩٥) صيام الأتقياء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية: (١١)

(٧) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط)، (١٣) إشراقات الإسراء ج١(٢ط)، (٢٢) الكمالات المحمدية (٢ط)، (٢٣) الرحمة المهداة، (٣٣) واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ (٢ط) (ترجم للإنجليزية)، (٣٥) إشراقات الإسراء ج٢، (٦١) السراج المنير، (٧٠) ثانى اثنين، (٨٥) الجمال المحمدى ظاهره وباطنه، (٨٧) تجليات المعراج، (٩٠) شرف شهر شعبان.

رابعاً: من أعلام الصوفية: (٦)

(١) الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط)، (٣) الشيخ مُحَمَّد على سلامه سيرة وسريرة، (٤١) المربى الربانى السيد أحمد البدوى، (٤٥) شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (٢ط)، (٥٩) الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى.(٩٧) الإمام أبو العزائم سيرة حياة.

خامساً: الدين والحياة: (٧)

(٢٦) إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام (٢ط) (٣٤) كيف يحبُّك الله (٣ط) (مترجم إنجليزى)،(٣٩) كونوا قرآنا يمشى بين الناس (٢ط)(مترجم إنجليزى)، (٥٠) قضايا الشباب المعاصر، (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة، (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة (تم تنزيل أكثر من ٢٨٠٠٠ نسخة إليكترونية من هذا الكتاب من الموقع)، (٩٢) فقه الجواب (إجابة أسئلة الموقع ج١).

سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (٧)

(١٦) المولد النبوى، (١٧) شهر رجب والإسراء والمعراج،(١٨) شهر شعبان **وليلة الغفران، (١٩) شهر رمضان و عيد الفطر،(٢٠) الحج و عيد الأضحى، (٢١) الهجرة ويوم عاشوراء، (٥٥) الخطب الإلهامية مجلد: المناسبات الدينية (٣ط).**

سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية : (١)

(٧٨) الأشفية النبوية للعصر.

ثامناً: المرأة المسلمة (٤)

(٩) تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم إنجليزى)، (٤٣) المؤمنات القانتات (ترجم إنجليزى)، (٤٤) فتاوى جامعة للنساء(٢ط)، (٧٤) الحب والجنس فى الإسلام،

تاسعاً:الطريق إلى الله: (١٢)

(٦) طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (٢ط) (ترجم للأندونسية)، (٢٥) طريق المحبوبين وأذواقهم، (٢٨) المجاهدة للصفاء و المشاهدة (٢ط)، (٣٠) علامات التوفيق لأهل التحقيق،(٣١) رسالة الصالحين، (٣٢) مراقى الصالحين، (٥٧) تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق)، (٦٠) نوافل المقربين،(٦٤) أحسن القول،(٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام، (٨٨) مجالس تزكية النفوس ج١،(٨٩) مجالس تزكية النفوس ج٢.

عاشراً الأذكار والأوراد (٧)

(٨) مفاتح الفرج (١٢ط) (ترجم إنجليزى وأندونيسى)، (١٥) أذكار الأبرار، (٣٧) مختصر مفاتح الفرج (٥ط) (٣٨) أذكار الأبرار (صغير)(٣ط)، (٤٠) أوراد الأخيار (تخريج وشرح)(٢ط)، (٥٦) نيل التهانى بالورد القرآنى، (٧٣) جامع الأذكار والأوراد.

حادى عشر: دراسات صوفية معاصرة: (١٦)

(١٠) الصوفية و الحياة المعاصرة، (١١) الصفاء والأصفياء،(١٢) أبواب القرب ومنازل التقريب، (٢٩) الصوفية فى القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية) ، (٣٦) المنهج الصوفى والحياة العصرية،(٤٢) الولاية والأولياء،(٤٩) موازين الصادقين، (٥١) الفتح العرفانى،(٥٣) النفس وصفها وتزكيتها، (٥٨) سياحة

العارفين، (٦٣) منهاج الواصلين،(٦٥) نسمات القرب، (٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء، (٧٧) شراب أهل الوصل،(٨٣) مقامات المقربين، (٩٨) آداب المحبين لله.

ثانى عشر: الفتاوى (٥)

(٢٤) فتاوى جامعة للشباب،(٧٦) فتاوى فورية ج١،(٨٠) فتاوى فورية ج٢، (٨٤) فتاوى فورية ج٣، (٨٦) فتاوى فورية ج٤

ثالث عشر: أسئلة صوفية (٣)

(٢٧) نور الجواب على أسئلة الشباب (ترجم أيضاً للغة الإنجليزية)، (٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية،(٩٩) إشارات العارفين.

رابع عشر: حوارات مع الآخر (٣)

(٨١) سؤالات غير المسلمين، (٨٢) حوارات الإنسان المعاصر، (٩٤) أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين.

خامس عشر: شفاء الصدور: (٤)

(٤٦) علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (٢ط)، (٤٧) بشائر المؤمن عند الموت (٣ط)، (٦٣) بشريات المؤمن في الآخرة.(٦٦) بشائر الفضل الإلهي.

الفهرس

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
مقدمـــــــــــــة	٣
الفصل الأول: الطَّرِيقُ إِلَى الله	**٧**
– الطريق إلى الله	٩
– التربية الرُّوحيَّة	١٠
– طريق الصلاح	١١
– المعيَّة الإلهية	١٣
– الأُخُوَّة النُّورانيَّة	١٥
– سرُّ الوصول	١٦
– حقيقة الإنعام	١٨
– الجهاد الموصل	٢١
الفصل الثانى: طريق المحبوبين لله	**٢٥**

- طريق المحبوبين لله ٢٧
- قدر النيَّة ٣٠
- الإخلاص طريق الخواص ٣٤
- منزلة المحبين ٣٦
- بشريات الصادقين ٤٠
- حياة الموقنين ٤٢
- أهل محبوبيه الله ٤٤

الفصل الثالث: آداب الدعاة والمريدين ٤٩

- آداب الدعاة والمريدين ٥١
- الأدب الذي يحبه الشيخ من مريديه. ٥٥
- حقيقة القيام للحبيب. ٥٨
- بغية الدعاة والمرشدون. ٦٠
- جهاد آل العزائم. ٦٢
- أدب الطالبين. ٦٤
- آداب المجالس. ٦٦
- صدق النية. ٧١

- باب الصدق. ٧٤

الفصل الرابع: محيط الكمالات ٧٩

- محيط الكمالات ٨١
- معجزات الأنبياء بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم ٨٣
- كرامات نوابه وورثته ﷺ ٨٥
- محيط الكمالات ٩٠
- الذين معه ﷺ ٩٦

الفصل الخامس: احتفاء المقربين بميلاد سيد المرسلين ١٠٣

- احتفاء المقربين بميلاد سيد المرسلين ١٠٥
- الصورة المحمدية ١٠٧

الفصل السادس: حقيقة وجه الحبيب ١١١

- حقيقة وجه الحبيب ١١٣

- ملمح العبودية ١١٤
- أعباء الرسالة ١١٦
- جمال الوجه ١١٧
- إشراقة النور ١١٨

الفصل السابع: قراءة رسول الله ﷺ ١٢٣

- قراءة رسول الله ﷺ ١٢٥
- لقاء جبريل المشوق بالحبيب ﷺ ١٢٨
- ماذا يقرأ؟ ١٣٠
- الخطبة الثانية ١٣٤

الفصل الثامن: بشرى النبيِّ بالفضل لأمته ١٣٧

- بشرى النبي بالفضل لأمته ١٣٩
- معاملة الله للمؤمنين بالفضل. ١٤٢
- شهادة النبي لأمته ١٤٤
- الخطبة الثانية ١٤٦

الفصل التاسع: فضل الله
على الأمة المحمدية ١٤٩
- فضل الله على الأمة المحمدية ١٥١
- إغضاء رسول الله عن هفوات أمته ١٥٥
- طريق المغفرة ١٥٨
- شهادة المؤمنين لبعضهم ١٦٠
السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ/ فوزى مُحَمَّد أبوزيد ١٦٤
قائمة المؤلفات الخاصة بفضيلة الشيخ/ فوزى مُحَمَّد أبوزيد ١٦٦
الفهرس ١٧٠

تم بحمد الله وتوفيقه

رقم الإيداع ٣٤٢٩/ ٢٠٠٢م